

# مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٦ شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى سنة ١٣٦٥

## (١) القول في اتكالنا -

كان عرب الجاهلية مثل الأعلى في الاعتداد على النفس ، اشتهروا بمغامراتهم ورحلاتهم لغرض التجارة ، وكانوا اذا شحت عليهم مساوئهم وأقحطت أرضهم تلبثت فيهم غريزة حفظ النوع فلا يروف غير الاعتداء على جيرانهم ، يستلبون منهم ما يسد جوعتهم .

ولما جاء الاسلام وبطل الغزو والتعادي أصبحوا يتكفون على خالقهم كما كانوا يتكفون على أنفسهم ، ووعتضوا عن الغنوب بما أتاهم به الحدث الجديد من المغانم ، وكانوا اذا فتحوا بلداً هبوا لاستعمار غوره ونجده ، فسادوا المدن ، وأحيوا الموات ، وغجروا الأنهار ، وأقاموا السدود ، وعمروا الرياض والفياض ، وبفرض العطاء أي الرواتب لأشرافهم ومن تبعهم ، وبتحريم الربا والبيع الفاسدة ، وزعت الثروة فزادوا توسعاً في معاشهم أكثر من يوم كانوا فيه ولا قوة تحميهم في السفر والحضر .

شرع العرب موجز ومريع التنفيذ ، وتدابيرهم معقولة مقبولة حتى في الجاهلية ، وكانوا اذا صح عزيمتهم على أمر فيه صلاح معادهم أو معاشهم تجلبى حزمهم وجددهم ، وهذه الصفات تقوى وتضعف فيهم بحسب العصور والأعمار . ومنذ فجر الاسلام أنشأوا يبنون جوامعهم ومساجدهم بأنفسهم ، وينصبون لها الخطباء والأئمة ، ويقومون

(١) من كتابنا الجديد « أقوالنا وأفعالنا » وهو الالآن مخطوطة .

بشؤونها لا يرزأون بيت المال شيئاً ، كانوا يعرفون عالمهم وتقيهم وداهيتهم كما عرفوا في جاهليتهم شاعرهم وخطيبهم وكاهنهم ، وما كان العارف فيهم — وعلى كل واحد زاجر من نفسه — بتصدى لما ليس له بأهل ، فلا يقضي ولا يُفتي ولا يعظ ويخطب الا اذا شهد له الثقات بالفضل حتى لا يضل به المهتدي ويزل المسترشد .

ولما نزع العرب في العصور التالية لاقامة رباطاتهم ومدارسهم ودور مرضاهم وضيافتهم وسائر مصانعهم حسبوا عليها من الأحباس ما يقوم بها على الأيام ، طيبة نفوسهم بما بذلوا ، والى هذا كانوا يعاونون حكوماتهم فيما بقي المرابطين من مؤنة وخيل وسلاح ، لعلمهم بأن عزهم مناط عزة حكومتهم ، وسلامة أعراضهم وعروضهم في دفع أذى أعدائهم عن ديارهم ، وكان يندر فيهم من من يحيد عن سنن الفضيلة ، يرون الأمانة أمراً طبيعياً ، والصدق فرض عين ، والبعد عن المأثم نبلاً ومرودة ، ولذلك خلا بعض أمصارهم في القرن الأول من السجون لندرة الجناة والمجرمين .

وقلت ثروة العرب ، وضعفت مقومات حياتهم ، وغدا وعاظهم وحكاؤهم من الفريق الذي عزَّ عليه تحصيل رزقه من أبواب المماش المعروفة ، فلجأ الى دعوى خدمة الدين يبيع بضاعته من الراعي والرعية ، وأصبح قضاتهم يصانعون في قضائهم ، ويصادرون كما يصادر لصوص العمال ، فزال جلال القضاء لعدم الثقة بالأمناء عليه ، وما وصف الإمام أبو يوسف في رسالته الى الرشيد قضاة عصره الا وصف عارف بما هنالك اذ قال : « وما أظن كثيراً من القضاة والله أعلم بيالي بما صنع وكيفما عمل ولا بيالي أكثر من معهم أن يُفقرُوا اليتيم ويهلكوا الوارث » ثم أخذ القضاة يتتاعون مناصبهم ممن كانوا يُدعون ملوكاً فيجمعون أموال السحت وناهيك بها من سبّة .

ومع أن الفردية تغلب على العربي أكثر من الجماعية ، كان من العرب من يشتركون في مسائل تجارية كبرى ، ويقسمون الأرباح بينهم ، ويرضى كل واحد بما قسم له ، وقال أن يرجعوا في اختلاف بندشُب بينهم الى صاحب السلطان ،

بفضول خلافتهم بمعرفة أهل الرأي والتجربة منهم ، وإلى اليوم نرى في نجد مع  
 بعدها عن العمران شركات تجارية جمعت رؤوس أموالها من الأغنياء والفقراء واشترك  
 بها الأقوياء والضعفاء ، على مثال شركات الغربيين ، وفيها الأمانة ماثلة كثيراً .  
 كانت أعمال الأفراد في معظم العصور أكثر نسباً وأوفر عائداً مما تتولاه  
 الدول ، ذلك لأن عمل الفرد تظهر فيه المسؤولية فينتج إلى التدقيق ، وفي  
 عمل الدولة تختفي التبعيات ، ويزيد الاسراف في النفقات ، ويتهاون بالجزئيات  
 وأحياناً بالكليات ، ولذا رأينا السكك الحديدية والمعامل والمدارس وكل ما تديره  
 الحكومات في الغرب والشرق من المشاريع أقل ريعاً وأكثر نفقة مما يديره الأهليون .  
 ومتى ضعفت ثقة الناس بعضهم ببعض ، تفتح للحكومات منافذ التدخل في  
 أمور الرعية ، فستتبع بعض طبقاتهم على ما تهوى ، ويقوى بذلك سلطانها ، وتتشعب  
 فروع أعمالها ، وتتضائل سلطة الفرد ، ويفنى في المجموع . وإذا قل اعتماد الناس  
 بعضهم على بعض يكملون إلى ولائهم أمورهم ، ويطلبون إليها العناية بما ليس  
 من واجبها معاناته ، ويطالبونها أن تتولى منهم ما يتولاه الوصي من أمر البيت  
 فجعلوا تحت وصايته .

كما عوّال الناس على أنفسهم وتركوا الحكومات وشأنها اغتتوا وسعدوا ،  
 وقد يكون غير المسلمين من سكان هذا الشرق القريب أهنأ عبثاً من الكثرة  
 الغامرة ، ومنهم من لم يتكوا على الدولة في كل شيء ، يرحلون ويفامرون  
 ويفتنون وينعمون ، وشهدنا من مارسوا حرفهم من المحامين والأطباء والمهندسين ،  
 مستقلين عن الحكومات ، أوفر غنى وحناء ممن تقلدوا القضاء ومسائل الصحة  
 والعمائر ، واتكوا على الدولة مكثفين بالرواتب المحددة . نعم كما عظمت سلطة  
 الدولة بنشأ في أبنائها الاتكال ويحني الاستقلال ، وتوشك أن تظهر عليها  
 أعراض الانحلال ، وإن كثرت سكانها واتسعت رقعة بلدانها .

القوة للرعية في الشعوب الانكوسكسونية والدولة في الشعوب اللاتينية ، وأثر  
 التريتين الاستقلالية والاتكالية محسوس في أرض الفريقين وفي الأقطار التي

استعمرها . قال أحد وزراء الانكيز : أنا لا أقول ان الحكومات أبداً شوم على الشعوب بل أقول وبلى لأمة تترك الخيال للحكومة لتنظيم لها اليوم بعد اليوم من الطفولة الى الشيخوخة حركة أفكارها وما ينهض بها الى العلاء ، وقالت احدى الخيلات الانكيزية مما خصت به أرضنا من الميزات ميزة تعد في مفاخرنا ، وهي اننا ندير أمورنا بأنفسنا بدون تدخل الدولة . ومن أعظم البراهين على ما يعمل الاستقلال في الفكر والارادة ، وما ينجم عن الاتكال من الخلال وضعف ، ما حدث في تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية و كندا واستراليا ، فان جماعات من الانكيز غضبت عليهم ديارهم لشقاوتهم فنفتهم ، أو غضبوا هم على الدولة لاضطهادهم في مذهبهم ، أو تعذر العيش عليهم في مساقط رؤوسهم فنزلوا تلك الأقطار البعيدة ، وما عثموا أن أسسوا معتمدين على انفسهم ممالك عظيمة جاءت في بعض مظاهرها أرقى من مواطنهم الأصلية .

وهذه طائفة المورمون في الولايات المتحدة ، وهي تقول بتعدد الزوجات الى ما لاحد له ، قد حاربتها حكومة تلك الديار في أول ظهورها حرب إبادة ، فجلا بقية السيوف من أبنائها الى صقع قاحل ، فما هي إلا اعوام قليلة حتى عمروه فأصبح كسائر الولايات المتحدة بمدنيته وصناعاته ورخائه ، ولو كان المورمون شعباً لاتينياً أو سامياً لاتقرضوا لما لقوا من شدة ، أو لماشوا عيش تنبئت في انتظار نجدة من دولة ، أو منحة من جمعية ، أو نفحة من غني جواد .

ستون الف جندي وثلاثة آلاف موظف انكيزي اخضعوا بفضل اخلاقهم لسلطان بريطانيا المظلم نحو اربعمائة مليون من المنود يساؤونهم بذكائهم ، واستولى الاسبان على الولايات اللاتينية التي صارت بعد جمهوريات اميركا الجنوبية وما عهد فيها الا الفوضى ، والسبب في ذلك اخلاق الفاتحين . وحكمت اسبانيا جزيرة كوبا ثلاثمائة سنة فما كان فيها الا الشقاء والظلم فلما آل حكمها الى الولايات المتحدة اصبحت في ثلاثين سنة من اسعد الممالك .

يطاب الشرقي كل شيء من حكومته ، ولذلك يقل ابداعه ، ولا يطرد سير

حياته ، ولا تنمو ثروته ، ولا تدوم نعمته . الشرقي عبء ثقيل على ابيه وأمه ، وعلى أخيه وأخته ، وعلى مورثه وأمرته ، وعلى من يعتقد فيهم القدرة من أهل حيه وبلده ودولته ، وعلى من يحبه ويعطف عليه ، وفيه شيء من النقص لا تجد مثله في صاحب الترية المستقلة وهذا لا ينتظر ارث ابيه ولا أمه ولا مورثه أباً كان ، ولا البائنة التي تأتيه بها زوجته ، ولا نصيبها من ارث أبيها ، يجمع ثروته بكده وجده ، ولا يتوقع بحيثها عفواً صفوياً .

روى اصحاب الاخبار ان احد ابناء رؤساء جمهورية الولايات المتحدة شوهد غداة انتخاب والده للرياسة مبكراً الى معمله على عادته ، فتقيل له : كان عليك ان تجعل من هذا اليوم عيداً لك ، وتنقطع عن العمل ، وقد غدا أبوك رئيس الامة فقال الرئيس أبي وأنا هنا عامل اشتغل لمستقبلي .

وهذه مصر ولا نثقل بغيرها هل تم لما الاستقلال في الترية مقدمة الاستقلال السياسي ام هو الاتكال لاشيء غيره ؟ الحق ان الترية الاتكالية بادية في مصر والاستقلال الشخصي كهللال الشك لا بكاد يُرى . كأن الترية اللاتينية التي لفتتها مصر لاول نهضتها قد امرضتها فلم تسلم الى اليوم من تأثيراتها على ماعولجت به من طرق حديثة في الترية . ولو كان هناك خلق استقلالي ماشهدنا التوم يتهافون على التوظف في الحكومة هذا التهافت المبكي .

ان أمة يتهالك المتعلمون من بنيتها ليجعلوا منهم آلات تتحرك بحركات غيرهم ، ويبعثون كالحلمة الطفيلية بامتصاص خزائنة الدولة ، والاعمال الحرة الراجعة كثيرة أمامهم يتركونها للنازل عليهم هي امة محكوم عليها باسواء ما يحكم به على مصاب بمرض عضال ، وأي مرض افتك في النفوس من مرض الاتكال الذي يقضي على فضائل جمّة في الانسان ، ومنها عزة النفس والافندام .

يقول الدكتور حانظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة : أما هذا التعليم الذي يحول جميع شبان البلاد الى موظفين ، يعملون دائماً ساعات محددة في النهار تحت اشراف رؤسائهم ، ويتناولون أجراً محدوداً يزيد في فترات معينة

بقدر معلوم ، ويمضون حياتهم على هذا النظام الميكانيكي الذي لا أثر فيه للمجبود الشخصي ، ولا يفتح باباً للمجازفة والمغامرة او تحمل التبعات ، فهو تعليم محدود الغرض لا يفيد الا في تخريج العدد اللازم من الشبان لملء وظائف الحكومة ، ولكنه مضر من جهات اخرى لأنه يفسد الفرائز الطبيعية في جميع الشبان الذين يزيدون عن هذه الحاجة .

وإذا اعتقد ان هذا التعليم يفسد غرائز المستخدمين وغير المستخدمين من الشبان ، ويقتل فيهم روح الاستقلال ، فيصبح الاتكال فيهم طبيعة ثانية ، وقد شاهدت اذكيا أتوا دراساتهم الثانوية او العالية ورجعت عليهم بعد سنين وقد اخلهم الاستخدام فصاروا الى خنوع وممكنة ، واستولى عليهم القنوط والتشاؤم ، وامسوا بالافكرون إلا في تخطي الدرجات والحصول على العلاوات . قال لي صديق أنه كان في بعض العشايا في متهى سان استيفانو بالاسكندرية ، فجاءه الغلام الرومي يقول له : ياسيدي الدكتور اجلس هنا فانه مكان ارواح لنفسك ، وأشار الى مكان آخر لا تضربه الشمس ، فعجب صاحبي من مناداة غلام المقهى له مناداة من يعرفه ، فسأله وهل عرفتي من قبل ؟ فقال له : وكيف لا أعرفك وانت الذي خدمت مصر بما املته عليك ووطنيتك وكنت كيت وذيت . ثم اذا انالم اعرفك فمن الواجب ان يعرفك ؟ أنا ياسيدي خريج مدرسة التجارة العليا في ابينة ، وتساءلني لم امتهن هذه المهنة فأجيبك لاني اتربح منها وأنا في اول العمر اكثر مما اربح من غيرها . ولما روى له محدثي هذا وهو يعجب من حال الخادم قلت له : لاتعجب ياخي فان القوم من افدر الامم على الكسب ولو أحرز احد مواطنيك شهادة من مدرسة التجارة العليا ما كان هدفه الا ان يتقلد وظيفة صغيرة في المدرسة التي تخرج باسانتها ، أو ان يعين في احدى دواوين الحكومة ، أو يتنح بشيء يتقنه اكثر منه من لا يحمل مثل شهادته ، أو يبقى متعطلا خاملاً حتى يبيأ له رزق هين من عمل يمتد هو انه شريف ، وهذا هو الفرق بين تاهلنا وتعليمهم

وتربيتنا وتربيتهم ، فلا عجب والأمر على ما ذكر ان يترك الواحد منكم عشرات الالوف من الدنانير لاولاده فينفقونها في امرح ما يمكن ، ويموت الرومي موسراً وكان في بدء امره فقيراً معسراً .

كثيراً ما كنت اسأل بعض الآباء عن اولادهم وما اختاروا لهم أو ما اختاروا هم لأنفسهم من مسالك لتحصيل رزقهم ، فكان معظمهم في جانب الاتكاليين لا الاستقلاليين ، أي انهم يؤثرون الاعمال الهينة المضمونة ، ولا ترتفع بهم همهم الى بذل النشاط اللازم أول دخولهم معترك العالم ، ولو انك قرأت باب الوفيات في صحيفة يومية مصرية تذكر اسم المتوفى كما تبلغها أسرة الفقيد مشفوعاً باسماء انسيائه واولاده ووظائفهم نخيل اليك ان كل متعلم في هذا القطر موظف ، وكل مشهور لبس في ذوي تربية إلا خدمة حكومة غالباً ، وقد يرزق الرجل بضعة بنين فلا يكون فيهم إلا عامل في الحكومة أو أخ له يستعد في المدارس ليقفز الى الدواوين . وأخذ البنات في العهد الأخير يقتدين في هذا الشأن بالبنين . ولا يسع من يشهد هذا إلا ان بأسف للذكاء يثلم حده فيما تقل فائدته ، وللموادب تضع على غير طائل ، في قطر حوى جميع أسباب الراحة ، ولا ينعم فيه على الاكثر إلا المستخدمون أو من خلف لهم أهلهم الأطيان والمقارن والاموال المجموعة في المصارف ، وفيه كل شروط الغنى ولا يقتني فيه إلا الغريب او من يتصل بالحكومة بسبب .

ماعدت أمة كالأمة المصرية تنفق معظم جبايتها على ترفيه موظفيها ، وهم فائضون عن حاجتها بكفيتها نصفهم لو تديرت ، ولو لم يكن الغرام بالتوظيف مما عم الطبقات المستنيرة لوجهت الدولة شعبياً وجهة اخرى على حين نرى اكثر ماتنصرف اليه همه من يأتون الى الحكم تعيين اعظم عدد ممكن في الادارة من حزبه ، ما تخلق لهم اعمالاً ترضيه بها ، ولو كانوا غير صالحين للاشغال ويختلف نواب الامة الى ابواب الوزارات يشفعون في توظيف ابناء اقاليمهم وادخال السرور على ذويهم بالعمل على ترقيتهم وترفيههم . وهل بعد هذا

برهان على انتشار الاتكأل في مصر اصدق من هذا المثال ؟ ولو كان للتربية  
الاستقلالية السلطان الاكبر على نفوس المصريين لرأينا من تضيق بيهم اسباب  
العيش يهاجرون الي بلد سحيق لكسب رزقهم كالشاميين واخفارمة تجلو لهم  
الهجرة ولو انى القطب الشمالي وخط الاستواء .

تمركزت كل قوة في وادي النيل بالحكومة ، فربطت رعاياها برباط  
أضعف فيهم حربة التفكير الشخصي والعمل المستقل ، واصبح المصري على  
الأيام غريباً في اخلاقه ، لا يرى الشرف الا ماجاء من طريق الحكومة ،  
ولا يعد في رأيه الا من أسعدته الحكومة ، وعيدنا بالمدارس المصرية تخرج الالوف  
من الطلاب ، وما عهدنا انه انصرف منهم الى الاعمال الحرة الا من لم تكفر  
شهادتهم للاستخدام بترتبات مقبولة ، والباقون وهم الصفوة توسد اليهم اعمال  
أصبت بالاشباع والتضخم لكثرة ماينال عليها من الطالبين ، فكان المدارس  
في القطر المصري أنشئت لتخريج مستخدمين ، والراسب في فحوصها أو من لم  
يتكن من اتمام دراسته لسبب من الاسباب تسوقه الحال الى التحال مذهب من  
مذاهب العاش ، يعمل فيه متكارهاً ويكون وسطاً او دون الوسط ، ولو نزع  
القائمون بالامر في مصر ايديهم من معاذنة رعاياهم في كل شيء وتركوا الوطني  
والغريب يتنافسان برأسيهما في ميدان الأعمال ، لشهدت الدخيل بلقي بالأصيل جانباً  
فيتجلى للبصير آتشد الفرق محسوماً بين تربية وتربية .

وليس بعجيب بعد هذا ان يصبح معظم ماتم من المشاريع الجيدة في مصر من  
صنع الحكومة قام بايدي رجالها ، وكلف اضعاف مايساوي لانه عمل حكومي .  
ولو قدر ان تخلت حكومة مصر عن معاونة بعض الشركات الوطنية ، لأصلها  
فتور في حركتها ، ذلك لان السكان مااعتادوا ان يمشوا بدون دليل ، ولا غنية  
لهم عن يمين عليهم من قريب او من بعيد .

وأصدق شاهد على هذا ان تتخلى للحكومة الجمعيتان اللتان قامتا احسن قيام بانشاء  
الجامعة القدية وتأسيس مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية فأثبتتا عجزهما واتكأهما



بعد ان أثبت المؤسسون الأول كفاءة عظيمة وفرح كل عاقل باستقلالهم المحمود .  
وما أصدق ما قاله الاستاذ احمد فتحي زغلول باشا في مقدمة كتاب سر تقدم  
الانكايذ السكويين : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي  
نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي  
نطلب منها ان تربي الأبناء ، ونظم الفقراء وترزق العجزة ، وتنتفي اسباب البطالة  
وتحفظ الاخلاق ، وتلم شعث العائلات ، وتجمع اشقات القلوب ، هي التي نطالبها  
بعبوض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم ما عوج من سيرنا وسيرتنا ، ورد هجمات  
التراحمين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك  
الاعمال باهمالنا ، رميناهما بسوء الادارة وأتهمناها بحب الأثرة ، والقينا عليها  
تبعة نحملنا كلها .

« لا ريب اننا بهذا الزعم قد ضللتنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكف الا  
ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام ، وحفظ الامن وإقامة  
العدل وتسهيل سبل الزراعة ومعاودة بعضهم بعضاً على ما يضمن حرية التجارة ،  
ويشجع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر  
ما تسمح به امکانات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر  
العام ، مما يدخل تحت جميع الناس ، ولا يفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ،  
وعلى الأمة بعد ذلك ان تنفيذ من هذا النظام ، وتمتيز فرصة الامن والطمانينة  
لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعتها وتجاريتها ، وفي نشر  
المعارف واحياء العلوم ، وفي اداء الواجب والمحافظة على الحقوق . »

وبعد فقد نزع داء التوظيف من كيان المصري صفات صالحة كان يشارك  
بها أرقى الأمم في حضارتها لو قيس له من يعالجه ، وما دام أصحاب الخدمة  
هنا من اكثر عمال الامم رزقاً ورفاهية وأقلهم تعباً وتبعة ، فالتعلمون من  
اذ كياء المصريين لن يكون لهم مأرب في غير الاستخدام ، ولو في نطاق  
ضيق لا يعود عليهم بأكبير فائدة . ذكر الاستاذ محمد علي عليه باشا في

كتابه مباديء في السياسة المصرية انه اذا بحثت أمر كل وزارة ومصلحة هالك لأول نظرة ماعليه الادارة من كثرة الموظفين كثرة هائلة حتى أنك لتجد بعضهم يعترف لك اعترافاً صريحاً بان كثرة هؤلاء الموظفين عديمة الجدوى ، وأنها في أحايين كثيرة تعرقل العمل عرقلة مزرية ، ولظالما لوحظ من بعض الموظفين انهم لا يأتون الا عملاً تافهياً ، وبتتلون اوقات عملهم في قراءة الصحف وفي الحديث مع زملائهم او مع زائريهم مع استمرار الشكوى من عدم ترقيةهم او رفع علاواتهم . وبعد ان وصف المؤلف ذلك الجيش العاطل من الفراشين والسعاة والجنود على أبواب الدواوين وأقلامها وفي طرقاتها ومنافذها ممن لا عمل لهم الا تقديم القهوة والمرطبات وحمل بعض الأوراق من حجرة الى اخرى قال : : ولقد عمت الفوضى وساد التواكل والتكاسل من هذا النظام الذي يجب ان يزول اذ هو أثر من آثار الماضي يجب ان نتحرز من مساوئه ، ولا يمكن ان نصف مصر في وقتنا الحاضر إلا بانها بلد الموظفين وملجأ التوظف اه .

محمد كرم علي

—\*—

# ابو الهذيل العلاف

## حياته وفلسفته

### ١ - تمهيد

كان من أثر اتصال العرب بالفرس والروم في العصر العباسي الأول أن انتشرت في الدولة الاسلامية ثقافات مختلفة للأمم مختلفة . وكان هناك كتاب وشعراء وفلاسفة وعلماء يدعون الى هذه الثقافات ريجيونها الى الناس . وكان هناك ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، حتي اضطر الخلفاء العباسيون الى التدخل في المسائل الدينية ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على الجوس والدهرية . وعمل المتكلمون ، وعلى رأسهم المعتزلة ، على نشر الدعوة الدينية ، والذب عن حياض الاسلام ، عن طريق العقل ، فاستعانوا بالمنطق اليوناني وصاغوا مسائلهم في قوالبه ، وعرفوا طرق الجدل والمناظرة ، ووضعوا لها قوانين وقواعد تقيدوا بها . ولقد بلغ من قوة العلماء في ذلك العصر أن أنفذ واصل بن عطاء اصحابه الى الآفاق ، وبث دعوته في البلاد ، فأجابهم الى ذلك خلق كثير . وكانت مدينة البصرة عاصمة هذه الحركة الفكرية العظيمة ، يجتمع فيها واصل بن عطاء ، بعمره بن عبيد ، وعثمان الطويل ، فينازعون الثوية والدهرية في أمور التوحيد ، وينظرون المجهرة في الجبر والاختيار ، والثواب والعقاب ، ويردون على المشبهة في صفات الله والتجسيم . وشجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة الفكرية للرد على الملحددين فاختر المهدي رجلاً وكل اليه أمرهم سماه صاحب الزنادقة ، وأنفذ الهادي وصية أبيه المهدي فاشتد في طلبهم والتنكيل بهم ، وسلك هارون الرشيد ضليل من قبله من الخلفاء في تعقيبهم ، وأمر المأمون بقتل من حمل اليه من زنادقة البصرة .

## ٢ - نساء أبي الرزبل : مولده ونسبه وحياته

ففي هذا العصر المنعم بالحياة الدينية والفكرية نشأ أبو الهذيل العلاف وهو أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي . ولد سنة خمس وثلاثين ومائة في مدينة البصرة في خلافة السفاح . كان مولى لعبد القيس . ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين . ثم أخذ العلم عن عثمان الطويل وطبقته . وعثمان الطويل أخذه عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد . وقيل ان ابا الهذيل تزوج اخت عمرو بن عبيد . فدفعت اليه قمطين من الكتب ، فأخذ عنها كثيراً من كلامه حتى بلغ فيه غابة ليس وراءها زيادة مستزيد . ويظهر أن نبوغ ابي الهذيل ، لا يرجع الى ما قبله من هذه الكتب ، ولا الى ما أخذه عن أستاذه عثمان الطويل فحسب ، بل يعود الى استعداده الفطري وذكائه الخاد . فقد اتفقت الروايات على ان نبوغه كان مبكراً ، وانه كان له أقل من خمس عشرة سنة أول ماتكم قال ابو الهذيل :

« كنت أختلف الى عثمان الطويل ، صاحب واصل بن عطاء ، فبلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقد قطع عامة المتكلمين فيها ، فقلت لعمي ، يا عم ، امض بي الى هذا اليهودي أكله ، فقال لي : يا بني ، هذا الرجل قد غلب جماعة متكلمي أهل البصرة ، فمن أخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه ؟ فقلت له : لا بد من أن تمضي بي اليه . وما عليك مني غلبي أو غلبته ، فأخذ بيدي ، ودخلنا على اليهودي فوجدته بقرر الناس الذين يكتمونه على نبوة موسى ، ثم يجحدهم نبوة نبينا . فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى الى ان نتفق على غيره فنقربه . قال فدخلت عليه ، فقلت له : أسألك او تسألني ، فقال لي يا بني ، أو ما ترى ما أفعله بشائخك ؟ فقلت له دع عنك هذا واختبر ، اما أن تسألني ، أو أسألك . قال بل أسألك . خبرني . أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته ، وثبت دليله . تقر بهذا أو تجحده فتخالف صاحبك . فقلت له : ان الذي سألتني عنه من أمر موسى هو عندي على أمرين . أحدهما اني أقر بنبوة موسى الذي

أخبر بصحة نبوة نبينا ، وأمر باتباعه ، وبشر به ونبوته . فان كنت عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته . وان كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد (ﷺ) ولم يأمر باتباعه ولا بشر به ، فقلت أعرفه ولا أقر بنبوته ، بل هو عندي شيطان يحرق . فتعير لما ورد عليه ما قلته له . وقال لي : فما تقول في التوراة ، قلت امر التوراة أيضاً على وجهين ، ان كانت التوراة التي أنزلت على موسى النبي الذي أقر بنبوة نبي محمد فهي التوراة الحق ، وان كانت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق ، وانا غير مصدق بها . فقال لي احتاج الى ان اقول لك شيئاً يبني وينك فطنت انه بقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه ، فسارني فقال امك كذا وكذا ، وام من علمك . لا يكفى . وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فأقبلت على من كان بالجلس فقلت اعزكم الله . البس قد وقفتم على مسأله اياي وعلى جوابي قالوا لي نعم . فقلت ألبس عليه واجب ان يرد علي جوابي . فقالوا نعم . قلت لم فانه لما سارني شتمني بالشم الذي يوجب الحد وشتم من علمني . وانما قدر ان اثب به فيدعي انا واثبنا وشغبنا عليه . وقد عرفتم شأنه بعد اتقطاعه . فأخذته الأيدي بالنعال . فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه « (١) » .

لم تنقض حياة ابي الهذيل كلياً في البصرة ، بل رحل منها الى مكة وبغداد وسراً من رأى . فقد جاء في أحد كتب ابي الهذيل ، انه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل ابي قبيس . وذكر الخطيب البغدادي ، ان أبا الهذيل قدم بغداد سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على المائة . وذكر المسعودي ان ابا الهذيل اتصل هناك بالمأمون . وكان المأمون في اول امره ، لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ،

(١) الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد او مدينة السلام . المجلد الثالث ص ٣٦٦ - ٣٧٠ راجع ايضاً . امالي السيد المرتضى : ص ١٣٦ . نكت الهيدان في نكت السبيل ، لصالح الدين خليل بن ايوب الصفدي ، مصر . المطبعة الجبالية سنة ١٩١١ م - ٢٢٢ - ٢٢٩ . عيون التواريخ . لمحمد بن شاكر الكندي . الجزء السادس ، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٢٧ ص ١٣٠ .

يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضائها ، وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان . فلما كان من النفل بن السهل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم المأمون العراق انصرف عن ذلك كله ، واظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المنكمنين وقرب اليه كثيراً من الجدليين والمناظرين كأبي الهذيل والنظام . والزيم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء . وكان يشار إليهم في مناظراتهم ، ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . ويروى ان المأمون قال لحاجبه يوماً : من في الباب من اصحاب الكلام ، فخرج وعاد اليه فقال بالباب ابو الهذيل العلاف وهو معتزلي ، وعبد الله بن ابراهيم الخارجي . وشام بن الكبي الرافضي ، فقال المأمون : ما بقي من اعلام جهنم احد الا وقد حضر .

واتصل ابو الهذيل في بغداد يحيى بن خالد البرمكي وسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة . فكان سهل بن هارون يظهر له الصداقة ويكون له العداوة . فقد استشفع ابو الهذيل به مرة على رجل في حاجة له فكتب سهل الى الرجل : ان الضمير اذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلاف ما ابدي فاذا اناك حاجة فامدد له حبل الرجاء بخلف الوعد والن له كنفاً ليحسن ظنه من غير منفعة ولا رقد حتى اذا طالت شقاوة جده ورجا الغنى فأجبه بالزد وان استطعت له المصرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

واتصل ابو الهذيل في بغداد ايضاً بالحسن بن سهل وناظر بمحضته اصحاب النجوم ، دخل يوماً على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع الحسن بن سهل مجلسه ، فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ، لتوفيه بمعرفة حقه . قال رجل من أهل النجوم ، قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام . قال الاحكام . قال ذلك عمل باطل . أفسأله قال : صل . فأخذ ابو الهذيل تفاعلة من بين يديه . وقال آكل هذه التفاحة أم لا . قال تأكلها . فوضعها ابو الهذيل . وقال : لست آكلها . قال فتعيدها الى يدك ، وأعيد النظر . فوضعها وأخذ غيرها

فقال له الحسن: لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تأكلها ، فأكلها خلافاً عليه فيقول: قد اصبحت في المسألة الأولى .

ثم ان ابا الهذيل انتقل من بغداد الى سر من رأى ونزل في غرفة بسيطة الى ان يطلب داراً تصلح له : قال سليمان الرقي فمرت به فقلت له يا ابا الهذيل انتزل في هذا المنزل فأنتدني :

بقولون زين المرء يامي رحله الا ان زين الرجل يامي راكبه وفي سر من رأى مات ابو الهذيل . واختلف في تاريخ موته . فزعم الخطيب البغدادي وابو المحاسن انه مات سنة ست وعشرين ومائتين في أواخر أيام المعتصم . قال المسعودي مات ابو الهذيل سنة سبع وعشرين ومائتين . وقال صاحب كتاب المصاييح لما مات ابو الهذيل بسر من رأى جلس الوراق في مجلس التعزية . وهذا يدل انه مات في ايام الوراق . وقال آخرون انه ادرك خلافة المتوكل . ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين . ونحن نميل الى ترجيح هذا القول الأخير استناداً الى سائر اخباره .

هذه لمحة قصيرة من حياة ابي الهذيل العلاف جمعتها مما تبعث من اخباره في كتب التراجم والتاريخ والفلسفة . وفي كتب الأدب اخبار كثيرة عن ابي الهذيل تصور لنا اخلاقه خير تصوير وتبين لنا منزلته احسن تبين .

### ٣ - أضواء أبي الهذيل

لم تكن اخلاق ابي الهذيل مما يورث الحمد والثناء دائماً . فقد قال الجاحظ ان ابا الهذيل كان ابخل الناس . مثال ذلك انه اهدى الى مويس دجاجة ، وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس ، ولكنه بكرمه وبجس خلقه ، اظهر التعجب من سمتها وطيب لحمها . فقال وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة . قال كانت عجياً من العجب ، فيقول وتدرى ما جنسها ، وتدرى ما منها . فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والنس . وتدرى بأي شيء كنا نسمها ، فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن ولا يعرفه

ابو الهذيل . فان ذكروا دجاجة قال : اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة .  
وان ذكروا بضة او جزوراً او بقرة . قال فأين كانت هذه الجزور في الجزر ،  
من تلك الدجاجة في الدجاج . وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في  
البقر والبط وبطن السمك والدجاج . وان ذكروا ميلاد شيء او قدوم انسان ،  
قال ذلك بعد ان اهديتها لك بسنة . وما كان بين قدوم فلان وبين البيعة بتلك  
الدجاجة الا يوم . فكانت مثلاً في كل شيء ، وتاريخاً في كل شيء (١) .

ولعل الخجل هو الصفة الجامعة لائر صفات ابي الهذيل التبيحة ، لأن حرصه  
الشديد قد صيره عند بعضهم كذاباً . ولا بد للبخيل من ان ينافق ويصانع في  
التكسب والانتفاع وان يدعي ما ليس فيه . قال الجاحظ :

« قال ابو الهذيل لمحمد بن الجهم وانا عنده يا ابا جعفر : اني رجل مخرق الكف  
لا يبقى درهماً . ويدي هذه صناع في الكسب ، ولكنها في الانفاق خرقاء .  
كم من مائة الف درهم تسعتمها على الاخوان في مجلس ، وابو عثمان يعلم ذلك .  
أسألك بالله يا ابا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال يا ابا الهذيل ما اشك فيما تقول .  
قال فلم يرض ان حضرت حتى استشيدني . ولم يرض باستشادي حتى استخفني (٢) » .

ولم يكن بخله الشديد الا صفة متممة لطعمه ، ووجه للظهور ، واهتمامه برأي  
الناس فيه . حتى قال بشر بن العتمر : « لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند  
الناس يعلم أحب اليه من ان يعلم ، وهو عند الناس لا يعلم : ولان يكون من  
السفلة وهو عند الناس من العلية ، أحب اليه من ان يكون من العلية ، وهو  
عند الناس من السفلة . ولان يكون نبيل المنظر سخيف المنبر ، أحب اليه من  
ان يكون نبيل المنبر ، سخيف المنظر . وهو بالنفاق اشد عجيماً منه بالإخلاص .  
ولباطل مقول أحب اليه من حق مدفوع » (٣) .

ويظهر ان الجاحظ كان شديداً على ابي الهذيل . فهو الذي وصفه بالخجل الشديد ،

(١) الجاحظ ، البخل : ص ٦٣ — ٦٤ (٢) الجاحظ ، كتاب البخل : ص ٦٤ — ٦٥

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزء ٢١ ص ١٠٤ في الهامش .



وقال عنه مع ذلك انه كان اسلم الناس صدراً ، واوسعهم خلقاً واصبلهم سهوة .  
ولعل هذه الصفات كانت تشفع لأبي الهذيل في شيء من بخله . فقد رأيناه  
يصف الدجاجة التي اهداها الى موسى ويضحك الناس من كلامه ولا يعرف ابو الهذيل  
معنى ضحككم وسخرتكم لسلامة صدره وسهولة اخلاقه . وقد رأيناه ينزل بسر  
من رأى في غرفة حقيرة ويتعجب اصحابه من ذلك فيقول لهم ان ضواهر المرء  
لا تدل على قيمته الحقيقية .

ونعل ميله الى الشهرة وضموحه واحتمامه برأي الناس فيه هو الذي دفعه الى  
مناظرة اليهودي في البصرة وهو لا يزال في الخامسة عشرة من سنه . وحب  
الظهور اذا اجتمع مع البخل في رجل واحد ، قد يدفعه في بعض الأوقات الى  
التظاهر بالتكسب والكرم في دائرة ضيقة . وقد يكون التظاهر بالكرم واسطة  
من وسائل الاصلاح والاقتصاد ، او وسيلة من وسائل دوام النعمة والثروة .  
حتى لقد ذكر صاحب المنية والأمل ان ابا الهذيل كان يأخذ من السلطان  
ستين الف درهم في السنة ويفرقها في بعض الأحيان على اصحابه .  
ويبدو لنا من قراءة اخبار ابي الهذيل ان شخصيته كانت عجيبة ، لا بل متناقضة ،  
فقد كان بخيلاً ، سليم الصدر ، سبل الأخلاق ، محباً للظهور ، متشققاً ، متظاهراً  
بالكرم ، موضعاً لالعجاب والسخرية معاً .

#### ٤ - كتب أبي الهذيل

ولست هذه الصفات بتأدحة في علم ابي الهذيل وقيمته الفكرية والفلسفية ،  
فقد كان شيخ المتكلمين في زمانه . ولم يتفق لأحد من شيوخ المعتزلة ما اتفق  
له من قوة الحجج ، ولطيف الكلام ، وقطع المخالفين له في المناظرة . فقد الف  
ستين كتاباً في الرد على المخالفين في رقيق الكلام وجليله . ولم يبق من هذه  
الكتب بين أيدنا الا مخطوط واحد محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٣٨  
عنوانه هذه مناظرة ابي الهذيل لمجنون الدير . ومجنون الدير هذا هو شخصية وهمية  
تصورها ابو الهذيل للبحث في إمامة علي . أما اشهر كتبه الأخرى فهي :

م (٢)

- ١ - كتاب مثابه القرآن ذكره ابن انديم في الفهرس
  - ٢ - كتاب ميلاس ، وكان ميلاس هذا رجلاً مجوسياً أسلم على يد ابي الهذيل . وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابي الهذيل وجماعة من الثنوية فقتلهم ابو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك .
  - ٣ - كتاب القوالب في الرد على الدهرية
  - ٤ - كتاب الرد على النظام
  - ٥ - كتاب الحجج
  - ٦ - كتاب الاعراض والانسان والجزء الذي لا يتجزأ .
- وغير هذه الكتب كثير لم يبق الآن منها شيء . ولولا ما حفظ من فلسفة ابي الهذيل في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادى ، والمواقف للابيجي ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ، والانتصار للخطاط لكنا اليوم لا نعرف شيئاً عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

### ٥ - صيرة أبي الهذيل

لم تقتصر حياة هذا الفيلسوف الفكرية على علم الكلام والجدل ، بل اشتملت ايضاً على علوم اخرى كعلم الحديث ، وعلم الأدب . فقد روى الحديث عن سليمان ابن مريم وروى عنه محمد الكاتب وابو يعقوب الشحام وابو العيناء وغيرهم . وانتقده أهل الحديث لخبط قوله وكذبه ومفارقة اجماع المسلمين . حتى قال الامام ابن تينية ان ابا الهذيل كان كذاباً أفاكاً . وشارك ابو الهذيل ايضاً في الأدب فحفظ كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم . قال ابو حيان في المقابسات :

دخل ابو الهذيل مرة على الواثق . فقال له الواثق لمن تعرف هذا الشعر :

سباك من هائم سبيل ليس الى وصله سبيل  
للحسن في وجهه هلال لأعين الخلق لا يزول  
وطرة ما يزال فيها لنور بدر الدجى مقيل  
فان يقف فالعيون نصب وان تولى فمن حول

فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين . هذا الرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضول . ومن كلمة يقول فيها :

أفضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم  
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولاهم بالتقدم

وقال النظام : ما أشفتك على أبي الهذيل قط في استشهاد شعر الا يوم قال له الملقب ببرغوث أسألك عن مسألة فرفع ابو الهذيل نفسه عن مكانه فقال ببرغوث : وما بقيا علي تركتاني ولكن خفتا صرد النبال ولم اعرف في تقيضه بيتاً يمثّل به . فبرز ابو الهذيل وقال لا بل كما قال الشاعر :

وارفع نفسي عن بجيلة اني اذل بها عند الكلام وتشرف

وكان القوم يجلدونه ويمضمونونه لسعة علمه وكثرة حفظه ومسرعة خاطره . قال ثمامة وصفت ابا الهذيل للمأمون فلما دخل عليه جعل المأمون يقول لي يا ابا من و ابو الهذيل يقول لي يا ثمامة . فكادت اتقد غيظاً . فلما احتفل المجلس استشهد ابو الهذيل في عرض كلامه بسبع مائة بيت فقلت له ان شئت فكنتي ، وان شئت فسني . وذكر ابن النديم في ترجمة ثمامة بن اشرس انه بلغ المأمون ان ثمامة لا يقوم لطاهر بن الحسين ويقوم لأبي الهذيل ويأخذ ركابه حتى ينزل فسأله عن ذلك فقال ابو الهذيل أستاذي منذ ثلاثين سنة .

وفي وفيات الأعيان كلام لأبي الهذيل في العشق يدل على فصاحته وبلاغته . قال اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء . وكان ابو الهذيل في جملتهم فقال : « أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الأفتدة ، مرتعه في الأجسام ، ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النواذب ، وهو جراحة من تقيع الموت ، وتقعة من حياض الشكل ، غير انه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشائل ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل » .

ومعرفة أبي الهذيل بجيد الكلام ، جمعت المبرد بقول فيه : ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ ، ولئن كان الجاحظ أقدر على فنون الكتابة من أبي الهذيل لقد كان أبو الهذيل أحسن مناظرة منه . وقال الخياط في كتاب الانتصار ، كان أبو الهذيل نسيج وحده ، وواحد دهره ، في البيان ، ومعرفة جيد الكلام . وجميع المتكلمين الذين عاصروا أبا الهذيل كانوا يقرون له بالتقدم عليهم ، في حسن الجدل وقوة الحجّة ، حتى لقد قال ابن النديم كان أبو الهذيل شيخ البصريين ومن أكبر علمائهم ، وقال ابن خلكان كان أبو الهذيل حسن الجدل ، قوي الحجّة ، كثير الاستعمال للأدلة والالتزامات . وذكروا أن النظام كان قد نظر في شيء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة ، كان يرى أنه قد اورد من لطيف الكلام ، ما لم يسبق علمه إلى أبي الهذيل العلاف ، قال فناظرت أبا الهذيل في ذلك ، فخيّل لي أنه لم يكن متشاعلاً قط إلا به ، لتصرفه فيه ، وحذقه في المناظرة فيه . وكثيراً ما كان أبو الهذيل يناظر النظام ويقطعه ، ناظر النظام أبا الهذيل مرة في الجزء الذي لا يتجزأ فألزمه أبو الهذيل مسألة الذرة والنعل ، وهو أول من استنبطه فتخير النظام في ذلك فلما جنّ الليل نظر إليه أبو الهذيل ، وإذا النظام قائم ، ورجله في الماء يتفكر ، فقال يا إبراهيم هذا حال من يناطح الكباش . وكان أبو الهذيل يقطع خصمه بأقل كلام ، حكي أنه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه . فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الإنسان عندك كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل إنما الجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له وما هذا الكتاب يا صالح ، قال هو كتاب ، قد وضعته ، من قرأه ، يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن ، حتى يتوهم أنه قد كان . فقال له أبو الهذيل فشك أنت ، في موت ابنك ، وأعمل على أنه لم يميت ، وإن كان قد مات ، وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك ، وإن كان لم يقرأه .

وقال أبو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله ، قلت فالبتر

قال ملائكة الله ، قصّ اجتمعتها وحطّوا الى الأرض ، يجرث عليها ، فقلت فالما ، قال نور الله ، قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته ، قلت من يحمل الأرض قال يهمن الملك قلت فما في الدنيا شرّ من الجوس اخذوا ملائكة الله ، فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوّوها بينت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان ، وفاقته ثم سلخوها على رأس يهمن أعز ملائكة الله ، فانقطع الجومي ونجل .

وكان أقدر على انقاع العلماء منه على انقاع العامة . قيل له مرة إنك لتناظر النظام وتدور بينكما نوبات . واحسن احوالنا اذا حضرنا ان ننصرف شاكين في القاطع منكنا والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظر ك زنجويه الجمال فيقطعك في ساعة ، فقال يا قوم ان النظام معي على جادة واحدة ، لا ينحرف أحدنا عنها الا بقدر ما يراه صاحبه ، فيذكره انحرافه ، ويحمّله على سننه ، فأمرنا قريب ، وليس هكذا زنجويه الجمال ، فانه يبتدي معي بشيء ثم يطفر الى شيء آخر بلا واصله ولا فاصله ، وابق ، فيحكم علي بالانقطاع ، وذاك لمجزى عن رده الى سنن الطريق الذي فارقتني فيه آنفا .

وفي هذا القول اشارة الى شروط الجدل ، وضرورة التقيد بموضوع البحث ، وتحديد المعاني في السؤال والجواب ، والافتناع والبرهان . والجدل هو الطريقة التي ملكها ابو اليزيد ، واصحابه من المعتزلة في عرض فلسفتهم ، والدفاع عن آرائهم ، فتولد من هذه المناظرات فلسفة عامة مشتملة على نظريات مختلفة ، في حقيقة الاله والكون والانسان .

جميل صليبا

( يتبع )

www.alukah.net

## أقرب الموارد

اطلعت بنظرة مجملّة على كتاب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لما رأيت أنه أكثر الكتب اللغوية الحديثة تداولاً بين الأيدي لسهولة مأخذه وحسن ترتيبه .

نظرت إليه هذه النظرة في بابي المحمزة والباء منه فرأيت فيه بعض مخالقات لما عرفته من كتب الأئمة السالفين الأثبات فأحببت عرضها على التواريخ ليحسوها فإذا صحّ نظري فيها تجنّبها الآخذون عنه .

١ - في مادة ( اب ب ) الآب الكلاؤ الذي تعتلفه الماشية ج الأوبؤ هذا جمع غريب ولعله جمعه على أفعل ثم اعلّ وأبدل ولكنه لم ينص عليه صاحب التاج ولا صاحب اللسان مع جمعها لكل شاردة ولا ذكره صاحب المختار ولا الأساس .

٢ - في ( اب و ) ابا . . . آباوة

هكذا أوردتها بالفتح ونص القاموس إباوة بالكسر .

٣ - في ( اذن ) المؤذنة . . . طائر في القاموس بفتح الذال .

٤ - في ( ارق ) آرق . . . ذهب نومه بالليل فهو آرق و آرق و أرق

الأخير لمن عادته الآرق .

وفي اللسان فهو ارق و آرق و أرق و أرق ، وضع أرق موضع آرق كندس كما وزنها في مستدرك التاج وأما ارق بالنسكين فلم أرها في مالدي من كتب الأثبات

٥ - في ( ازي ) آزي ل بأزي آزيا أتاه من وجهه ليختله .

في اللسان آزيت لفلان آزي آزيا إذا ابتته من وجه مأمته لتختله وهذه

عبارة الليث فهي إذا من باب رمى ثم لم حذف مأمته والمراد لا يتم إلا بها .

٦ - في ( اش ر ) أشر الخشبة بالمنشار . ض . أشراً : نشرها اي من باب ضرب

عبارة القاموس اثر الخشب بالنشار : شقه واذا اطلق صاحب القاموس الفعل الثلاثي كان من باب نصر ونص المصباح على انه من باب نصر وكذلك المختار ولم يقل احد فيما أعلم انه من باب ضرب .

٧ - ( اش ف ) الأشف : صمغ نبات

صوابه الأشق بالثقاف قال في التاج وهو المعروف في مصر بقناوشق .

٨ - ( ام ر ) . وأمر آخر أيام العجوز

أمر هو السادس منها . وآخرها مؤتمر قال في اللسان وكان الأول منها بأمر الناس بالخذر والآخر يشاورهم في الظعن . ٥١٠ .

واذا احرزنا الترتيب من شعر ابي شبل الاعرابي كان أمرًا رابعًا فليتأمل ولو قال صاحب اقرب الموارد كما قال صاحب القاموس وأمر ومؤتمر آخر أيام العجوز كان أسلم

٩ - ( ان ح ) الأنيح . . . . . المتتنحج بخلاً اذا مثل

هكذا ذكرها على وزن قرح وصوابه أنيح على وزن راع كع كما وزنه صاحب القاموس

١٠ - ( ان ف ) انفه . ض . ل . أنفاً ضرب انفه اي من باب ضرب وعلم

صريح القاموس وشرحه انه من حد ضرب ونصر .

١١ - ( ان ن ) أن المريض . . . . . وأنانا

هكذا والصواب أنانا بالضم كما هو منصوص عليه وهو من الاصوات كالصراخ والجوار والنعاق

١٢ - البانورنج [ كسر النون ] والصواب فتحها

١٣ - ( ب ب ر ) البئر وزان قلب وكبد الأسد الهندي دخيل

صوابه البير بياءين . وهذا غلط مطبعي اما انه بوزان كبد فلم أره لغيره

وقد جاءت فيه لغة ثانية بكسر فسكون كما في الألفاظ الفارسية المعربة .

١٤ - ( ب ت ر ) . . . . . والبتار . . . . . السيف القاطع

هكذا بوزن سحاب وانما هو البتار بضم ففتح فان فتحت الباء شددت التاء

فتك البتار ككتان .

١٥ - ( ب ب ح ث ) انبث لعب بالبعانة أي التراب

تبع في هذا صاحب القاموس وصوّبه صاحب التاج بالبحث .  
 ١٦- [ب ذء] . بذأت الرجل بذيءاً رأيت منه حالاً كرهتها (ض)  
 جعلها من باب تحرب ونص التاج والقاموس أنه من باب منع والقاعدة فيما  
 كان عينه أو لامه حرف حلقى ان يكون منه عند عدم النص على خلافه  
 ولا أظن ان هناك نصاً والا لذكره صاحب التاج

١٧- [ب ذق] البأذق بفتح الدال

الصواب ترك الهمز والدال تفتح وتكسر كما في القاموس

١٨- [ب ذم] فلان ذو بذيء أي له رأي وحزم قال :

[كريم عروق النبعين مظفر ويغضب مما منه ذو البذيء يغضب]

الصواب في معنى الرأي والحزم البذيء بالضم قال في اللسان قال الأصمعي  
 اذا لم يكن للرجل رأي قيل ماله بذيء . واما البذيء فهو مصدر البذيء وهو  
 الماقل الغضب من الرجال اي انه يعلم ما يأتيه عند الغضب كذا حكاه أهل  
 اللغة وقيل يعلم ما يغضب له قال الشاعر :

كريم عروق النبعين مطبّر . ويغضب مما منه ذو البذيء يغضب هـ

وجاء في الشاهد مظفر مكان مطهر . وأنشد صاحب اللسان للحرّار :

قد طال ما عشت بغير بذيء

وفسره صاحب التاج بغير مرودة وقد بذيء بذيءة . هـ

١٩- [ب رد] . يرد الجراد والجنذب جناحاه كقوله :

اذا تجاوب من يرديه ترنيم

هكذا ضبط بالشكل يرديه بفتح الباء والصواب ضمها والبيت لذي الرمة .

٢٠- [ب رص] [ب رص] صام ابرص ج سوام ابرص وان شئت قلت يرصة

هكذا آورد يرصة باسكان الراء والصواب يرصة كعنبية وأورد سوام ابرص

بفتح الميم المشددة على نحو فتحها في المفرد وقد اوردتها صاحب اللسان بضمها

أكثر من مرة .



٢١- [ب ز ل] امرأة بَزْلَاءَ الرَّأْيِ : جَيِّدَتُهُ

صحة العبارة ان يقول امرأة ذات بَزْلَاءَ اي جيدة الرأي لأن بَزْلَاءَ هنا اسم لا صفة وفي اللسان البَزْلَاءُ الرَّأْيِ الجيد وانه لذو بَزْلَاءَ اي رأي جيد وعقل وأشد للراعي :

من أمر ذي بَدَوَاتٍ لا تزال له بَزْلَاءٌ يعيا بها الجَسَامَةُ اللَّبَدُ

٢٢- [ب ش ك] ابشك سلاه : اتقطع

وفي القاموس ابشك سلكه : اتقطع والأمر في ذلك سهل

٢٣- بَطُلٌ فِي حَدِيثِهِ بِطَائِلُهُ

جعلته من باب نصر كما هو سياق صاحب القاموس ولكن صاحب التاج قال

والصواب انه من حد علم كما في الجمهرة .

٢٤- [ب ع د] البَعِيدُ : البعيد الهالك يستوي فيه الواحد والجمع يقال

ما أنت منا يَبْعِدُ وما أنتم منا يَبْعِدُ .

هكذا جاء يبعِدُ على وِزَانِ حَذِرٍ والصواب يَبْعِدُ بفتح العين وهو الذي

يستوي الواحد والجمع لانه جاء على صيغة المصدر وفي اللسان وغيره ما أنت

منا يَبْعِدُ وما أنتم منا يَبْعِدُ أي يبعِدُ .

٢٥- [ب ع ر] بَعِرَ الْجَمَلُ بَعْرًا اَلْقَى يَبْعُرُهُ

صريح المختار والقاموس انه كنعج وهو ظاهر اللسان ولم أجد من نص على

انه من باب فرح . وإنما بَعِرَ الْجَمَلُ بَعْرًا اذا صار بَعِيرًا .

٢٦- [ب ع ر] البَعْرُ والبَعْرُ : رَجِيعُ ذَوَاتِ الخُفِّ والظَلْفِ

كان عليه ان يقول الا البقر لأن رجيعة ليس يبعر وقد استثناء الأئمة .

٢٧- [ب ع ص] البَمَّوْصُ والبَمَّوْصُ

هكذا جاء به مفتوح الباء وصوابه ضمها اذا اسكنت العين .

٢٨- [ب ق ع] الأَبْقَعُ الغراب ج يَبْقَعَانِ

هكذا جاء بها بكسر الباء والصواب ضمها كما نصوا عليه ومغملان بكاد

يطرد فها كان منه وصفًا كأحمر وُحمران واسود وسودان .

٢٩ [ ب ق ل ] ارض بقالة : كثيرة البقل

تبع صاحب القاموس بالتشديد وصوب صاحب التاج انه كسحابة

٣٠ - ب ق ي ٠٠ وبقي ض بقياً : دام وثبت

أي انه كضرب [ لغة فيه ] وليس كذلك وانما اللغة الثانية بقي يبيقي وهي لغة

طبي وقد وقع بهذا الهمم الشيخ أبو عبد الله الفامي المتوفى سنة ١١١٠ هـ

ورده صاحب التاج بأنه لا قائل به .

٣١ - [ ب ك ء ] در عيني قل دمعها فهي بكئي وبكيسة بالهمز والتشديد

التشديد لا يكون مع الهمز وانما يكون بدونه ففي عبارته تسامح .

٣٢ - [ ب ل ت ] البآيت : الفصيح

هكذا وزان فصيح والمعروف عند النحارير البآيت كسكيت .

٣٣ - [ ب ل ل ] بلال من اعلامهم .

هكذا ضبطه بالفتح والصواب بالكسر ككتاب كما هو صريح القاموس

٣٤ - [ ب ه ر ] بهراً له أي تعماً

هكذا ضبطه بالضم والصواب النتح كما في لسان العرب ونصه « وبهراً له

أي تعماً وعلبه » قال ابن ميادة :

تفادق قومي إذ يبيعون مهجني بجزابة بهراً لم بعدها بهراً

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

هكذا كلها جاءت بالفتح .

٣٥ - [ ب ه ز ] هم أبناء بهزة أي اولاد ظبة

صوابه أبناء علة بقول الزمخشري وهم ابنا بهزة أي اولاد علة الواحد

ابن بهزة ٠ هـ وهم الأخوة لأمهات شتى من أب واحد .

٣٦ - [ ب ه ز ] تمهزت أشياء : عملتها

صوابه علمتها من العلم لا من العمل ونقل الصاغاني «ولو علمت ان الظلم  
ينسى لتبيّرت اشياء كثيرة» اي علمتها .

٣٧ - [ ب و ق ] البوقفة بالفتح دفعة من المطر شديدة أو منكرة يقال  
أصابنا بوقفة ج بوق

هكذا ضبط البوقفة بالفتح وصوابه البوقفة بالضم وهي الدفعة من المطر كما  
في الصحاح زاد غيره شديدة او منكرة ج بوق كصرد كما جاء في التاج  
وعبارة صاحب اقرب الموارد هي بعينها هذه العبارة فلماذا نص عليها بالفتح  
والمنصوص عليها هنا الضم وفي اللسان والبوق والبوق والبوقفة الدفعة المنكرة  
من المطر وقد انبأنت .

٣٨ - [ ب ي ض ] يياض الأظافر: أصولها

في مستدرك التاج ويياض الكبد والقلب والظفر ما احاط بها وقد فسرها  
بأصولها فحرفها أو انه اراد ان يقول ما حولها فحرفها الناسخ .

### تعقيب

أنا معجب بجهد المؤلف وسهره لتجويد تأليفه ولا أواخذه بما رأيت من أغلاط  
لأنه لا يسلم من أمثالها كثير من النحارير والعصمة لله تعالى .  
وإنما الذي أواخذه عليه انه لا يراعي الحرمة في سرده الشاهد من القرآن والحديث  
وربما غير لفظ الحديث الذي يستشهد به . مثال ذلك يقول في مادة ث ق ل  
« ومنه اني تارك فيكم القرآن وعترتي » مع ان نص الحديث المستشهد به  
« اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » ويقول في اللسان كما في النهاية  
جعلها ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخيماً لها فحذف الثقلين وغير كتاب الله . وما هو  
الا ناقل وليس ما استشهد به من كلامه ليكون اعترافاً منه او حجة عليه ولو  
كان من كلامه لم يصح له الاستشهاد به وليس هو نص الحديث ليصح الاستشهاد به  
وانما الشاهد لا يغير ولا يبدل

وجاء فيه في مادة [ ب ق ع ] « ونادى موسى ربه في البقعة المباركة » وانما

الآية « فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني الله رب العالمين » .

وجاء في مادة [ ادب ] ان هذا الكتاب مأدبة الله في الأرض . ونص الحديث المستشهد به كما في النهاية « وفي حديث ابن مسعود ان هذا القرآن مأدبة الله في الأرض » . نجاء بالكتاب مكانه ليكون أعم ولكنه غير الشاهد . وتام الحديث فتعلموا من مأدبته .

وجاء في مادة [ ب ق ي ] ولا تأتي الباقية مصدراً خلافاً لمن استظهر على ذلك بهذا الكلام « فهل ترى لهم من باقية » فتقوله بهذا الكلام فيه من الجفاء وقلة الحرمة ما لا يليق بأمثال المؤلف .

على أن دعواه بأنها لا تأتي مصدراً جاءت بلا دليل وفي المصباح بقي الشيء يبقى من باب تعب بقاء وباقية دام وثبت وقول صاحب القاموس انها تزالت منزلة المصدر لا يتلزم انها لا تتأني مصدراً كما جزم به صاحبنا وورود المصدر على فاعلة كثير كالعاقبة والطاغية والعاقبة .

ثم رأيت قليل العناية بضبط الشواهد من الشعر .

فن ذلك بيت المتخيل الهذلي :

لا درّ دري ان اطعمت نازلکم قرف الحطي وعندي البر مكنوز  
أورده الحطي بالطاء وانما هو الحثى بالثاء وهو المقل أو ضوبقه . وقرفه نشره

والمقل : صمغ الشجر .

وفي مادة [ ب ر ع ] :

فكبا كما يكبو فنيق تارزُ بأخبت الا انه هو أبرع

والبيت أورده صاحب اللسان وصاحب التاج بالجنب أي بالجيم والنون بدهما باء وفسره صاحب التاج اي سقط الثور . وسقوطه بقضي بأن يكون جنبه

وفي مادة [ ب س ر ]

فصبحها والشمسُ حمراءُ بَسْرَةٌ بسابقة الأنعام موتٌ مقلبي

ولم أحتد للمراد بسابقة الأتقاء . وإنما البيت كما أوردده صاحب اللسان  
بسائفة الأتقاء . أي الأرض بين الرمل والجلد والبيت للبعيث .  
وفي مادة [ اوب ]

قد جال بين دريسيه مؤؤبةٌ مُسع لها في عشاء الأرض تهزيز  
فتح مؤؤبة على صيغة المنعول وإنما هي على صيغة الفاعل وضم ميم مُسع  
وهي ربح الشمال وهي مكسورة .  
وقد أورد صاحب اللسان هذا الشاهد في مادة [ اوب ] ومادة [ هزز ]  
بما نصه :

قد حال بين دريسيه مؤؤبةٌ مُسع لها في عشاء الأرض تهزيز  
النبطية « جبل عاملة » احمد رضا



## المقصورة<sup>(١)</sup> التاجية

تقوم مصلحة الآثار السورية منذ ثلاث سنين بأعمار قسم من الجدار الشمالي في الزاوية الشرقية في الجامع الأموي . وهذا الجدار بينائه الحالي عمر في سنة (٥٠٣) كما تشير الى ذلك عدة كتابات منقوشة عليه . والظاهر انه تأثر بحريق سنة (٤٦١) فنقض وجرده بناؤه بعد اثنتين واربعين سنة من تاريخ الحريق او ثمان وعشرين عاماً من تاريخ تجديد بناء الجامع ولا يبعد ان يكون العمل استمر في الجامع الى سنة (٥٠٣) .

على ان هذا الجدار تأثر بعدة زلازل كانت بعد هذا التاريخ أعظمها زلزال سنة (١١٧٣) الذي أحدث تجريبات عظيمة في دمشق والجامع الأموي . منها هذا الجدار الذي وقع قسم منه على أرض المسجد ودار بني الغزي في الجهة التي تجري فيها الإصلاحات الآن وأمال هذا الجدار نحو الشمال (٦٥ سم) وهذه الزاوية الشرقية الشمالية التي يجري فيها الإصلاح الآن كان لها ماضٍ مجيد من الجهة الثقافية فكان فيها خزانة كتب وحلقة علم تمثل فيها الحركة العلمية في دمشق بالعهد الأبوي أحسن تمثيل وهي التي عرفت في كتب التاريخ «بالمقصورة التاجية» .

**مساحة هذه المقصورة :** تبلغ مساحتها من الشرق الى الغرب خمسة أمتار و (٣٠ سم) ومن الشمال الى الجنوب مثل ذلك وشرقيها وشماليها جدارا الجامع . وفي الجدار الشرقي باب يدخل منه الى دار لطيفة فيها بعض حجرات كانت تابعة لهذه المقصورة يسكنها في عصرنا مؤذون الجامع أما الغرب والجنوب فمفتوحان

(١) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المخضرون بها . ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي عن عدة مقاصير كانت فيه وانما تنخذها الطلبة للنسخ والدرس والافتراء عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة .

اني اروقة الجامع غير انه كان لها حواجز خشبية بصناعة مزخرفة لطيفة يوجد نموذج منها على مقربة من المقصورة في مسجد الحسين موضوعة على نوافذ كبيرة بين المشهد الخارجي والمشهد الداخلي . وقد اظيرت الحفريات الجديدة الاساس الذي كان يقوم عليه الحاجز الغربي للمقصورة التاجية .

**انساؤها :** لا نعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن انشئت ولكن النعيمي في تنبيه الطالب<sup>(١)</sup> يفيد بأنها كانت تعرف بابن سنان ثم بالتاجية ثم بالسلارية فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان ؟

بقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية الغزالية<sup>(٢)</sup> لأن الغزالي الشهير نزلها ودرس فيها بعد الشيخ نصر المقدمي المتوفى سنة (٤٩٠) ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قري بصيدا<sup>(٣)</sup> .

فالظاهر ان المقصورة التاجية وهي حنفية انشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية الغزالية الشافعية في الغرب فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكتل الحنفي يدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي<sup>(٤)</sup>

فتاج الدين الكندي استاذ الملك ، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي - صديق الملك - وكان من أعظم وعاظ عصره يعظ الناس قبلي هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون

(١) نسخة خطية في المجمع العلمي بدمشق [١ : ٧٠٤] منها ، وتؤيد الكتابات المنقوشة على الأعمار في هذه المقصورة هذا النص . وفي البداية والنهاية [١٣ : ٧٣] ما يفيد بأنها تدعى مقصورة ابن سنان الحلبية ، كما تدعى الحلبية فقط ، ويسميا ابن فضل الله العمري في [١ : ١٩٦ و ١٩٧] بالحلبية . (٢) كانت هذه المقصورة على هيئة قبة من خشب مطلي بدعان أخضر سكنها في الأزمنة المتأخرة هجرة الأتقان ثم أخرجوا منها سنة [١٣٣٤ هـ] قريباً ورفقت هذه القبة وأتلفت حتى لا يعود إليها أحد . (٣) طبقات السبي [١٠٤:٤] وتبيه الطالب (٤) لمعرفة شدة حماسه للمذهب الحنفي يراجع ابن خلكان [١ : ٥٠١] النجوم الزاهرة [٦ : ٢١١] السهم المصيب في كبد الخطيب وهو من مؤلفاته للانتصار لابي حنيفة .

البياتين في الصيف حتى يسمعوا ميماده وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد<sup>(١)</sup> التي عند باب المشهد كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان . ومحمد بن عروة الموصلية - وهو من خواص الملك المعظم - انشأ على مقربة من التاجية مقصورة أخرى اشتهرت بالعموية وقف فيها درس حديث وخزائن كتب .

فهذه أمور كلها تشير إلى التكامل الحنفي الذي كان يغذبه الملك المعظم وبنيته . وكان هذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصراوي إلى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤه قرى نقله بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية<sup>(٢)</sup> وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي جهة الغرب منها المتضمنة أرفاقاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الفندي ويرجع تاريخها إلى سنة (٥٨٩) . وناصر الدين هذا لا نعرف عنه أكثر مما جاء في الروضتين<sup>(٣)</sup> فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (٥٨٣) ان صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم إلى والي قلعة دمشق الناصح الفندي . وهناك وثيقة ثانية عنها هي اجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (٥٩٨) وهي تنفيذ قائمة عظيمة باسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمراء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم وتاج الدين هذا عرف هذه المقصورة فترجم لها النعماني في تبيينه الطالب باسم الزاوية التاجية .

(١) البداية والنهاية [ ١٩٢ : ١٣ ] وقبة يزيد هذه كانت تعرف قبل عمر ابن كعب بن زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبة الساعات . وكانت قائمة على أعمدة كتبة المال القريبة من الزاوية الغزالية ولكنها سقطت في زلزال سنة [ ١١٧٣ ] فأعيد بناؤها على جدران وهذه القبة هي المقابلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد علي .

(٢) البداية والنهاية ١٢ : ٦٢ . (٣) ٢٩ : ٣



مكتبة هذه التصورة : كانت المكتبة ولا تزال جزءاً من أجزاء المدرسة لذلك كان من اللازم ان يكون لهذه المقصورة مكتبة يلجأ اليها الدارسون للمطالعة والدراسة . وقد أشار لهذه المكتبة عدد من المؤرخين ويحدثنا ابوشامة انه وجد فهرس هذه المكتبة بخط واقفيا تاج الدين الكندي وان عدتها (٧٦١) مجلداً وهذا تفصيلاً (١) :

(١٤٠) علوم القرآن و (١٩) الحديث و (٣٩) الفقه و (١٤٣) اللغة و (١٢٢) الشعر و (١٧٥) النحو والتصريف و (١٢٣) علوم الأوائل من طب وغيره ويجب ان لا يغفل عن نص ابن خلكان الذي يقول فيه عن الكندي انه لما سافر الى مصر اقتنى من كتب خزائنها كل نفيس وما قاله ابن القفطي انه اقتنى من كتب خزائن الديار المصرية عند ما بيعت في الأيام الناصرية كل نفيس على قلة ما ابتاعه . ومن الواضح ان ابن القفطي يريد بهذه الخزائن خزائن الفاطميين وان المراد بالأيام الناصرية أيام صلاح الدين . ومن هذا تعلم قيمة هذه المكتبة القيمة رغم قلة عددها على ان ياقوت الرومي - وهو الخبير بالكتب وقيمتها - يعظم من شأن هذه المكتبة فيقول عن تاج الدين الكندي : وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية (٢) .

ويقول ابوشامة : وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هباً لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الخنفة المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ونقل اليها جملة من هذه الكتب ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت ويبيع جملة منها سرّاً وجهرّاً (٣) .

وبترجم ابن كثير (٤) مولى تاج الدين الكندي فيقول : ياقوت ، ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي وقد وقف اليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق وكانت سبعمائة واحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب

(١) ذيل الروشتين (٣) معجم الأدباء ١١٠: ١٧٥ (٣) ذيل الروشتين (٤) البداية والنهاية ١٣: ١١٦

ويبع أكثرها وقد كانت باقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب سنة (٦٢٣) .

ورغمًا عن مبالغة ابي شامة وابن كثير في تمزيق هذه المكتبة فاننا نجد ابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩) يشير الى ان مكتبة المقصورة كانت موجودة في عصره<sup>(١)</sup> على انه أنشئ الى جانب هذه المقصورة مكتبة ومقصورة علم كانت كالدعامة لها فقد أنشأ محمد بن عروة المتوفى سنة (٦٢٠) في مشهد الحسين الملاصق لهذه المقصورة خزائن كتب ودرس حديث<sup>(٢)</sup> ويحدثنا ابن ابي أصيبعة<sup>(٣)</sup> بأن أبا الفضل بن عبد الكريم المهندس اختصر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني وكتب نسخة منه بعشر مجلدات ووقفها في الجامع الأموي مضافة الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة .

**كتابات المقصورة القديمة:** في هذه المقصورة خمس كتابات بخط نسخي عادي منقوشة على أحجار في الجدران داخلها تعطينا فكراً عن نواح قيمة فيها . وقد تناثر كثير من حروف الكتابة فلم تظهر معالمها . ومن الغريب ان بعض الناس أخذ في قراءة هذه الكتابات فظهر له منها انها اسماء عقارات موقوفة على المومسات

**الكتابة الأولى:** على الجدار الشمالي في المقصورة (٦٣ x ٧٣) ونصها:

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير (٢) ناصح الدين الفيدي بن محمود تقبل الله (٣) منه الربع من قرية دربل من الاقليم<sup>(٤)</sup> (٤) وعمارة الفندق الذي أنشأه خارج باب (٥) شرقي على القراء الاخير الحفاظ الحنفية (٦) يقرأ كل واحد سبعاً من القرآن بكرة كل (٧) يوم في هذه المقصورة وبلقن الصبيان المتعلمين (٨) لكتاب الله بها على ما ذكر في كتاب الوقف (٩) المقر لها وذلك في سنة تسع وثمانين [ن] وخم [سائة] .

- (١) مسالك الألباز ١: ١٩٦ (٢) تنبيه الطالب مخطوط والبداية والنهاية ١٣: ١٠١  
(٣) عبون الأنبا ٢: ١٩١ (٤) الاقليم هو ما يسمى في عصرنا بقضاء وادي الحجم

**الكتابة الثانية :** في الخائط الشرقي على يمين الداخل الى الدار المعروفة قديماً بالخلية ( ٧٩ × ٥٥ ) ونصها : - (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) الحاج الياس بن بشاره بن أبي الحسن<sup>(١)</sup> جميع البستان الحدو (٣) د الموصوف بقربة كفر صوسية ونصف وثمن الختول (٤) التي تحت المنيب [ع]<sup>(٢)</sup> على المتصورة الشرقية الحنفية المعروفة (٥) بمقصورة بن سنان وقفا على الخبز والكسوة بما يراه النا [ظر] (٦) الى كتاب الوقفية وذلك في جماد الأول سنة احدى وستائة للهجرة .

**الكتابة الثالثة :** على مقربة من الكتابة الأولى أسفل منها قليلاً (٨٠ × ٩٠) ونصها : - (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) السلار اسماعيل بن سليمان بن ايداش<sup>(٣)</sup> عن الحاج الياس بن بشاره (٣) ابن ابي الحسن جميع ما ابتاعه بثلك ماله الذي أوصى به في ذلك وهو (٤) بدمشق وظاهر [ها] منه دار بدرب المحرزيين من ناحية درب (٥) الريحان<sup>(٤)</sup> ومنه أربعة اسهم وثلك ورابع سهم من اربعة وعشرين سهماً (٦) من كل واحد من الثلاث الحوانيت بسوق الأ [سنا كفة] العتيق ومنه اثنتان [ن] من الفندق (٧) والعشر حوانيت و [منه] . . . بالعقبة تعرف . . . [و] منه ثلث الك . . . . . (٨) المعروفة بالطيرة [خارج الس] ور على الفقراء والمساكين . . . . . (٩) . . . . . (١٠) . . . . . خمس عشرة وستائة .

**الكتابة الرابعة :** خلف الدعامة التي ترتبط بها أقواس الرواق الشمالي مع الرواق الشرقي وتجعل المتصورة مربعة الشكل (٦٦ × ٨٣) ونصها : - (١)

(١) هو أحد أصدقاء التاج الكندي وتلاميذه وسيأتي ذكره فيمن سمع عليه شرح معاني الآثار (٢) المنيع محاماً قديماً كان حارة الحلبي في اليوم (٣) اسماعيل بن سليمان بن ايداش ابو طاهر الحنفي ابن السلار حدث عن الصائغ هبة الله وعبد الحائق بن أسد وتوفي في ذي القعدة سنة [٦٣٠] شذرات : ٥ : ١٣٥ (٤) درب الريحان هو الدرب الذي شرقي البزورية قيل كان اسد باشا العظم وعلى صفه ويعرف اليوم بسوق التين وفيه دار القرآن والحديث التنكرية المعروفة في عصرنا بالمدرسة الكاملة نسبة الى الشيخ كامل النصاب .

[بسم الله الرحمن الرحيم وما تفة] ملوا من خير يوف اليكم وانتم (٢) [لا تظنون] هذا...  
 بسر العبد الفقير الى غفران (٣) [ربه الا] امام العلاء [ة] حجة العرب تاج الدين  
 الكندي ابو الين زيد (٤) [ابن] حسن الكندي تقبل الله منه وأثابه الجنة  
 اوقف (٥) . . . . . بس تسعة اسهم من اربعة وعشرين سهماً من (٦) . . . . .  
 [ف]ندق والحمام والعشرة حوانيت المعروفة (٧) . . . . . [ف]ندق الحوانيت  
 انشاء ابن امرايل تصرف (٨) في [ر]جب وشعبان ورمضان في ليالي الجمع  
 (٩) . . . . . نسوة وغيره ودار جامعة في درب العجم<sup>(١٠)</sup> . . . . .  
 . . . . . مع مقرئين يقرؤون في كل ليلة بعد صلاة . . . . . (١٢) . . . . .  
 صف سبع من القرآن الع [خيم] فمن بدله (١٢) [بعد] ما سمعه فانما اثمه على  
 الدين [يبدل] ونه (١٣) وعلى القراء حجرة طباق الزقاق<sup>(١٤)</sup> . . . . . (١٤) من  
 ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستائة<sup>(١٥)</sup> .

الكتابة الخامسة: على الجدار الشمالي غربي المقصورة الى جانب الكتابة  
 الأولى (٧٥ × ٧٣) ونصها: - (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير  
 . . . . . الدين (٢) . . . . . بن الأمير عز الدين ياقوت ال . . . . .  
 العبدي (٣) رحمه الله جميع السهام الأربعة التي هي السدس شائعاً من  
 (٤) . . . . . من ضياء (٥) . . . . . (٦) . . . . . سبع وخمسة [ين] وستائة .

\* \* \*

وبعد فلا نعلم الزمن الذي اضمحل فيه أمر هذه المقصورة والظاهر من كلام  
 عبد الباسط العلموي المشرفي سنة (٩٨١) انها كانت معروفة في عصره . وحينما  
 حصل زلزال سنة (١١٧٣) وحصل الخراب في هذه البقعة لم نجد أحداً يشير  
 اليها مما يدل على أنها كانت غير معروفة في هذا التاريخ -  
 محمد احمد رهمان

(١) دين أبو شامة في ذيل الروضتين مكان درب العجم بأنه في جيرون وجيرون هي شرقي  
 باب الجامع الأموي الشرقي وتعرف اليوم بالنوفرة . (٢) هذا السطروا بدمه ألحق إلحاقاً بخط دقيق  
 (٣) توفي تاج الدين الكندي سنة [٦١٣] فتكون هذه الكتابة قد كتبت بمدوناته بـ [٢٦] سنة .

## الملك الظاهر بيبرس

لا ينتهي هذا العام أيها السادة حتى يكون المجمع العلمي قد انتهى من إصدار عشرين مجلداً من مجلته : تفجرت بنايمينا بالأبحاث المختلفة في اللغة وآدابها وما له اتصال بها .

وقد أخذ المجمع يفكر في تنظيم فهرست عام لهذه المجلدات العشرين . يدني ليد المراجع بعيدها ويسهل عليه الرجوع الى ماخبي فيها .

وقد احببت ان أنظم لنفسي فهرستاً يشتمل على بعض ما في هذه المجلدات العشرين من الأبحاث الخاصة : فأحصيت المقالات التي بحثت في الأوضاع اللغوية فوجدتها تبلغ ٣٠ مقالة ونبأ . ثم أحصيت ما فيها من تراجم الأعيان ومشاهير الرجال فكانت نحو ثمانين ترجمة منها (١٥) للمسنشرين وهناك ترجمة لبوذه معبود الصين . واخرى لطاغور شاعر الهند . وثالثة لأحمد باشا الجزائر الوالي التركي المشهور بالظلم في تاريخنا الحديث .

هذا ما وجدته في العشرين مجلداً من تراجم الرجال . أما محاضرات المجمع التي ألقىت في هذه الردهة فربما بلغ عددها في الخمس والعشرين سنة ٢٥ محاضرة . منها محاضرات خاصة بذكر مناقب رجال التاريخ حتى احمد باشا الجزائر نفسه فان له محاضرة مستقلة وُصف فيها بسوء السيرة لكننا احببت ذكره على كل حال . لا أكاد أصل في إحصائي هذا الى ذكر (الجزائر) حتى أسمع صوتاً من ورائي وعلى بعد عشرين متراً من موقعي هذا .

في هذا الصوت عجة وارتفاع لكنة وعايه مسحة من جلال الموت ووحشة القبور يقول : أقلقتم راحتي . في هدأة رقدتي . نحواً من خمس وعشرين سنة . وأنا اسمعكم من فوق منبركم هذا تخطبون وتحاضرون . وأحياناً الى الغث من القول تستطردون . ولم أسمعكم قط ذكرت اسمي في كل ما نشرتموه في مجلتكم أو نوهتم بشيء من أعمالي في محاضراتكم .

أبكون لبوذه الصبني وطاقور الخندي والجزار التركي نصيب من اهتمامكم في محبتكم ومحاضراتكم ولا يكون لجاركم بيبرس البندقداري شيء من ذلك حتى كأن ما أثري ذهبت هباء . أو أنني ربذة ملتقاة في الفناء لو لم يكن لي من جليل الأعمال إلا أنني أملت ما بدأه نور الدين وصلاح الدين ومهدت الطريق لرابعا (فلاوون) وبذلك تم جلاء عدوكم عن بلادكم - لكفاني نغراً وعجباً . ولسوءغ لي أن أوسعكم لوماً وعتباً . أين أنتم من مراعاة جواري . وحسن مجازاتكم لي على حلول داري .

هذا ما تخيلت أني اسمعه - أيها السادة - من جارنا الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحى رحمه الله . وقد نجلت يعلم الله منه . وأسرعت الى تدارك ما قرط منا معشر المجتمعيين فخصصته بهذه المحاضرة التي لا حسن فيها سوى براءة ذمتنا وأداء الحق الذي علينا لجارنا .

حقاً أيها السادة إن في إغفالنا ذكر هذا الملك المنقذ بين من نوهنا باسمهم في جمعنا شيئاً من نكران الجليل . وغمط الحق . أو هو ذنب لا يغفره الا موقفي هذا . وحسن إصفاؤكم إلى ما أسرده على مسامعكم من ما أثر الرجل ووصف ما أوتي من جلد وشجاعة وحسن تدبير ولفظ سياسة حتى أمكنه جمع كلمة البلاد وزغزعة أركان التغلب عليها وجعله على أوفاز للجلاء عنها .

وقبل الشروع في المحاضرة نقول لجارنا الملك : سمعنا عنك علينا وسنعمل على إعتابك ما وسعته طاقتنا غير أن امر نشأتك في بلادك حتى حطت بين أظهرنا مما غاب عنا خبره . واختلف الرواة فيه . فهل لك أن تسمعنا الحديث عنه من فمك ثم نصله بالمدون المنقول اليها من أخبرك وما كان من محاولتك الملك حتى نلت منه امنيتك . وقضيت نيهمتك .

\* \* \*

قال نعم : منبتي صحراء الدشت من قوم رُحَّل يسعون فيجاق أو قفجاق وتنسب الصحراء اليهم فيقال دشت قفجاق . وبلادي واقعة وراء جبال القفجاس وهي

تمتد بين البحرين : بحر الخزر من الشرق والبحر الأسود من الغرب ( وهي اليوم  
تؤلف جزءاً كبيراً من روسيا أوروبا ) ومعظم سكانها مسلمون . ومن مدنها كاسان  
واوفا وسراي ( ولعلها التي تسمى اليوم استرخان ) ومن أنهارها نهر ( اتل )  
( الذي يسمى اليوم نهر الثولكا ) ومن شعوبها القرغيز والبرغال أو البلغار ( وهم  
البلغار الأقدمون ) وكنا من أصل تترى . وقد ولدت من أبوين قفجاقيين  
سنة ٦٢٥ هـ فسياني ( يبرس ) أي الفهد . واتفق ان أثار علينا اخواننا التتر من  
أحفاد جنكيز خان وذلك سنة ٦٣٩ هـ فالتجأنا الى اخواننا بلغار بلاد الروسية بعد  
الاستئذان من ملكهم ( أنس خان ) فسمح لنا بدخول بلاده ثم غدر بنا وسبي  
من يصلح للسي مننا . وكنت أنا من جملة السبي . وعمري يومئذ ١٤ سنة . ولا  
يشوقني من لذائذ صبوتي في بلادي سوى ركوب الخيل ولحاق طرائد الوحش  
عليها وسوى أني كنت مولعاً بشراب التمر حتى وكان هذا الشراب سبب موتي  
في بلادكم ( والتمز أيها السادة شراب يتخذ من حليب إناث الخيل <sup>(١)</sup> )

قال يبرس : ولا تحظر بلادي في بالي حتى التحيل التترى من قومي را كعاً  
بين ساقى فرسه ممسكاً بأخلافها منهمكاً في احتلابها حتى اذا تجمع هذا الحليب  
لدى الأسرة باعوا بعضه وشربوا بعضه وعزلوا شيئاً منه لاحتخاذ التمز . وكانني  
أنظر الى عمي وهو متدثر بفروته الثقيلة من جلد الغنم يتقي بها البرد . وعلى رأسه  
ركبة كشيقة مبطنمة بالفرو وقد أخذ بين يديه زُبديّة كبيرة فوضعها على فمه

(١) لا يحق أن قها . الاسلام كرهوا أكل لحوم الخيل وشرب ألبانها خشية امراضها  
وهي آلة الجهاد . أما قها ما وراء النهر المنذر مذهبهم بين أهل سيبيريا ومنهم القفجاق  
قد كرهوا لحوم الخيل للمدة للجهاد أما تلك التي تعيش سائمة ورعى قطعاناً كما ترعى البقر والغنم  
فلا كراهة في أكل لحومها ولا شرب ألبانها . ويقول الجيرون أن قبائل سيبيريا ما زالوا الى أباونا  
هذه يربون من الخيل قطعاناً ينتفرون بلحومها وألبانها وتاجها على نحو ما تفعل ترواشينا . كما أنهم  
يتخذون من ألبانها شراب التمز المعروف قديماً . ( والتمز ) بكسر التاء والميم وتشديد الزاي  
كما ضبطه مؤرخو الاسلام . أما الانكيز فيلفظونه هكذا ( قوميس Kaumiss ) وللقوميس  
في سيبيريا اليوم مامل يحضر فيها بمقادير كبيرة ويصدر الى الخارج في زجاجات مفضلة كما يفعل  
الأوريون في تصدير أشربتهم ومهوراتهم ( التونسروا ) الى بلادنا .

وجعل بكرع وبكرع من شراب القمز وأكون في ناحية انتظر فراغه لأشرب ما فضل عنه من ذلك الشراب اللذيذ .

ثم قال (بيبرس) متمماً حديثه وساقنا النخاسون الذين اشترونا من بلاد (انس خان) الى سيواس ومنها الى حلب فدمشق . فاشتراني العاد الصائغ لكنه أخيراً زهد في ليياض رآد في احدي عيني واحتاج المنصور ملك حماة الى ماليك فنقلني النخاس الى حماة .

وكان الملك المنصور هذا يومئذ صبياً وكان اذا اراد شراء رفيق عرضه أولاً على الخاتون الكبرى والدته فأحضروني اليها ومعني رفيق لي فجعلت تنظر اليها من وراء ستار . فأمرت بشراء رفيقي وقالت تخاطب ابها المنصور مشيرةً إليّ (هذا الأسم لا يكون بينك وبينه معاملة فان في عينيه شراً لا تحمًا) قال وقد أنارت كلمتها في نفسي هو اجس لاذعة ما زالت تنمو وتتطور وتسوقني الى طلاب الملك حتى نلته .

قال واتفق أن كان في حماة يومئذ الأمير ابديكين البندقداري مسجوناً بأمر سيده الملك الصالح أيوب (حنيد من نحن في مدرسته أعني الملك العادل) فبلغه خبري فاشتراني ثم افرج سيده الملك الصالح عنه فخرجت مع ابديكين من حماة الى مصر وغضب الصالح عليه ثانية فصادره . وكنت أنا في جملة أموال المصادرة وأصبحت من يومئذ (الصالح) إي المنسوب الى الملك الصالح بعد ان كنت (البندقداري) اي المنسوب الى الأمير ابديكين البندقداري وكانت عمري يومئذ تسع عشرة سنة .

أقول فيكون بيبرس قضى خمس سنوات وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن يد سيد الى يد سيد حتى استقر أخيراً في حوزة الملك الصالح أيوب . فكان نعم المستقر : إذ قد عرف له الملك نجابته وادرك ان الشر اللائح في عينيه الذي تشاءت به الخاتون انما هو خير : إذ لا يستقر ملك في ذلك الزمن إلا به . ولا تعدل فناء حكم إلا اذا قومت بثقافته : غدر ملك بلغار بيبرس وبقومه . وتنقله أسيراً رقيقاً في البلاد . وقول الخاتون ان في عينيه شراً لا تحمًا .



ودخوله في جملة الأموال المصادرة التي قد يكون بينها دوابٌ ومناخ - كل ذلك قد لا يوري نار الحماسة في نفس غير نفس يبيرس أما في نفس (الفهد) كما سماه ابوه تلك النفس الثمردة الوثابة فان كل ما ذكرناه قدح فيها زنداً واريماً وأثر فيها تأثير الانتباه واليقظة للوسط الاجتماعي والسياسي الذي كان يعيش فيه : فجعله يعتقد ان حياته لا تستقيم وعيشه لا يطيب . وبغيته لا تنال ما لم يتسلح بأسلحة ذلك العهد : القوة والبطش والدهاء والمكر والانتقام أحياناً . عاش بين مماليك سيده الملك الصالح وكنهم أترك شجعان فرآهم انما يتحدثون عن الملك وأدواته . والعرش وشهواته . وأخبار الملوك من أبناء جندهم والطرق التي سلكوها . والأساليب التي اتخذوها حتى بلغوا أهدافهم وكان من اسماءهم العروش . كان في يبيرس نجابة وشجاعة وكان فيه فطنة وذكاء . وصلابة عود واستعداد لاستعمال أساليب تلك العهود . من حيث يؤدي ذلك الى الملك . وكان بين هؤلاء المماليك الكثيري العدد اثنا عشر ملكاً مسيماً الرق فلم يكن يعرف اسم أبائهم . ومنهم يبيرس جارنا وكان المؤرخون اذا نسبوا هؤلاء الملوك الأرقاء قالوا ( فلان ابن عبد الله ) إشارة الى جهالة أصله وكان يبيرس من أبناء عبد الله هؤلاء وقد نظم بعض الشعراء اسماءهم بحسب ترتيب تملكهم في بيتين من توقيح المواليا فقال :

( ايبك ) ( قُطْرُ ) يعقبو ( يبيرس ) يا ذا الدين

بعده ( فلاوون ) بعده ( كتبغا ) ( لاجين )

( يبيرس ) ( يرقوق ) بعده ( شيخ ) ذو التبيين

( طَطْر ) ( برَسَباي ) ( جِحَقَق ) صاحب التمكين

ولما جاء يبيرس الى بلادنا ( او نقول بحسب التعبير الحديث الى الشرق الأدنى ) كان السلطان فيها موزعاً بين اولاد صلاح الدين وأخيه العادل : اولاد العادل في مصر ومنهم الصالح أيوب سيند يبيرس واولاد صلاح الدين في الشام وكان معظم الساحل وبعض الداخل بيد الصليبيين .

وهناك خلافة ببغداد مهددة بالسقوط في يد التتار . فالبلاد كانت واقعة بين شرين أو عدوين خاربين ( التتار ) و ( الصليبيين ) . و بليهم من جهة آسيا الصغرى التي هي مستطرق الصليبيين أرامنة وروم مسلمون وهم السلاجقة في كيليكيا . وروم مسيحيون وهم البيزنطيون في القسطنطينية . ومن سوء طالع البلاد بأقطارها الثلاثة مصر والشام والعراق أن كان ملوكها المسلمون متشاكسين متدابرين بتربص بعضهم لبعض الدوائر وسنوح الفرص للبطش ، والزوان على العرش . ولم يبق بعد صلاح الدين وأخيه العادل من يجمع كلمتهم . ويقف بهم في وجه عدوهم على شاكلة ما فعل صلاح الدين . وقد تنبه الى هذا كله ( بيبرس ) فكان نعم المدرس تلقاه عن سيده الملك الصالح حفيد الملك العادل . وقد وثق به سيده فجعله قائداً فرقة مماليك . وشهد معه وقعة دياط الشهيرة التي أسرف فيها ملك فرنسا ( لويس التاسع ) أو القديس لويس وهو المعروف عند العرب باسم الفرنسي . وصحب بيبرس بعد موت سيده الصالح ابنه الملك المعظم ( توران شاه ) وكان المعظم هذا شاباً أخرق سيء التدابير . فتآمر مماليك أبيه على قتله وكان أول من علاه بالسيف منهم جارنا وبطل محاضرنا ( الظاهر بيبرس ) . وبعد المعظم قامت بأمر الملك شجرة الدر زوجة الملك الصالح . فأنف الممالك سلطانها عليهم فولوا أحدهم وهو المعز ايك ( سنة ٦٤٨ هـ ) وعمر بيبرس يومئذ ٢٣ سنة عندها تشاءب النهد وتمطى وشبهاً للوثوب واستيقظت في نفسه شهوة الملك النائمة وطمع فيه بعد ان رأى انتقاله من أسياده بني أيوب الى رفاقه وخشداشيتهم الممالك . في نفس بيبرس ميل للفتك كما تلتنا . وفي عينيه آثار للشر كما قالت اخاتون غير ان وراء ذلك كله عملاً ينتغاره وخدمة يتناها وقد رأى أن هذه الخدمة لا يوفيهما حقها إلا هو فمنذ تولى الملك رفيقه ( المعز ايك ) ترأس هو حزب المعارضة المتطرفة . ووضع مخططها أمام عينيه واخذ في دس الدسائس . ونصب المكابذ . تارة في مصر وطوراً في الشام . وكان يجهز عسكرياً ويصمد به الى مصر فيؤتم بيبرس ويقتل من معه من الأمراء ويرجع الى الشام فيجهز عسكرياً ثانياً . أو دسيسة ثانية . ولماذا كل هذا ؟ أهو لطعمه في الملك ؟ وفي ما يحتف

به من العظمة وأبهة السلطان يا ترى؟ أولظمعه في أن ينال شرف خدمة الاسلام وإتقاذ البلاد من براثن الضارين التتار والصليبيين؟ الله يعلم . ولكن من تأمل في أعماله بعد ان تولى الملك رأى في تضاعفها وفي النهج الذي سلكه لإتقاذ البلاد ما يشعر بأنه كان مخلصاً . في ما كان يرتكبه من الشر على حد تعبير الخاتون الأيوبية . واثقاً بأن الله سيغفر له خطاياہ على حد تعبير الآية الكريمة (إن الحسنات يذهبن السيئات) . وعلى حد ما رواه احمد بن طولون أمير مصر وهو قوله (حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه انه قال ( اوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل : 'مر: عامة أمتك ان لا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر فان للملوك كبائر من الأفعال الجميلة لا يصل اليها غيرهم تمحص بها آثامهم ويحسن بها صدرهم) ١ هـ (راجع ص ٣٣٤) من سيرة ابن طولون اقول ولا يسلم هذا الحديث من نقد وتجريح بل هو من قول ابن منبه وهو غير ثقہ .

لم يكد الملك المعز ايك يستقر على العرش بعد شجرة الدر حتى رفع يبيرس صوته قائلاً: نريد ملكاً من سلالة اسيادنا بني ايوب ولا نريد ان يملك علينا رجل من غيرهم . وأدى الأمر أخيراً الى قتل (المعز) فخلفه على العرش ابنه (المنصور) فوقف جارنا يبيرس من الابن موقفه من الأب موقف معارضة ودرس وتأليب ثم خلعوا (المنصور) بحجة رصفه فتولى بعده المظفر قطز وهو مملوك المعز ايك المقتول وكان ذلك سنة ٦٥٧ هـ وعمر يبيرس ٣٢ سنة فمظم الخطب على يبيرس وجعل يتنزي تنزي النهدي في القفص وزاد حقه . واشتد كيدہ وأوشك ان يلتهب شوقاً الى الملك أو شوقاً الى الوقت الذي يمكنه فيه إتقاذ البلاد من الخطر المحدق بها . ولا سيما بعد أن بلغه خبر استيلاء (هولاكو) على بغداد وقتله الخليفة (المستعصم) .

وكان يبيرس في زمن (قطز) متباً في دمشق لاجئاً الى ملاكيا (يوسف صلاح الدين) الثاني وهو من أحفاد صلاح الدين الكبير ثم رأى يبيرس ان مكته في دمشق لا يجديه نفعاً . ولا يمكنه من (قطز) وإسقاطه ما لم يكن

مقيماً بجانبه يطالع الأمور عن كثب . فأرسل بيبرس الى قطز بلائنه ويعاتبه في بعض الشيء ثم استخلفه أن لا يخرج منه اذا جاءه فحلف له قطز . فجاء بيبرس الى مصر وانضم الى مماليكيا الذين يعملون في خدمة ( قطز ) ثم شهد معه وقعة ( عين جالوت ) على مقربة من نابلس وهي الوقعة التي دحر قطز فيها التتار . واستأصل شأفتهم من بلاد الشام . وكان انتصاره هذا عليهم كأنه انتصار على بيبرس وخذلان له في ما يؤمل ويريد . ولكنه مع هذا تشدد ونشط الى تدبير مؤامرة على قطز في أثناء إيباده من الشام الى مصر منتصراً فاغتاله وهو بعيد عن المعسكر في خاق طريدة أرنب . واقدامه على هذا العمل يعد من أكبر آثام بيبرس وأفظع ما ارتكبه من الجرائم . ولا سيما ان ( قطزاً ) كان ممدحاً . حسن السيرة . ولم يكن كالعظم توران شاه الذي كان بيبرس قتله قبله تقول هذا ولا نبالي جارنا الذي بُنعتُ اليها . وقد يغضب من سماع قولنا . لأن التاريخ يقول كتيبه ثم لا يستعجب . ولا يبالي بمن غضب إلا أن يعود التاريخ نفسه فيعتذر له بأن هذا الغدر انما تعلمه بيبرس من إخوانه ومن ملوك زمانه ( فلا تحسبوا خنداً لها الغدر وحدها سجية نفسٍ كلُّ غانية خند )

( وإن نفساً لا نفساً ملك بلغار ( أنس خان ) الذي غدر بيبرس وقومه فشرده به في البلاد . وصيره رقيقاً تتداوله أبدي الأسياد ) .

وبعد ان قتل بيبرس ( الملك قطزاً ) أقبل مع رفاقه الى الدهليز السلطاني ( أي المعسكر ) وفيه أمراء الجيش ينتظرون رجوع الملك من طرد الأرنب . فهتف الأتابك ( أقطاي ) ( والأتابك لقب بمنزلة وزير الدولة اليوم ) قائلاً من قتله منكم ؟ فقال بيبرس : أنا . فقال الأتابك ( يا أخواند اجلس على مرتبة السلطان ) وكان ذلك سنة ٦٥٨ هـ وعمر بيبرس ٣١ سنة .

وأخذ من يومئذ يفكر في جمع كفة ملوك الشام والحجاز وحملهم على الخضوع له بمختلف الوسائل ليتمكن بذلك من إتمام ما بدأه الملكان ( نور الدين ) و ( صلاح الدين ) من طرد الصليبيين وتطهير البلاد من معرفتهم .

## رأس يحيى ورأس زكريا

المشهور على السنة الناس في حلب ان الضريح العظيم الذي في جامعها الأعظم فيه جثمان زكريا وقد وصل بنا البحث في تاريخ حلب الى ان الوجود في جامع حلب هو قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام . واليك البيان :  
قال في الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة (ص ٧٤) وذكر ابن العظمي (الحلي) في تاريخه في سنة خمس وثلاثين واربعمائة ظهر بعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقل منها الى حمص ثم منها الى مدينة حلب في هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام ابراهيم عليه السلام الذي في قلعة حلب) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة الى جانب المحراب واغلقت ووضع عليها ستر يصونها . وذكر الكمال بن العديم في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارته . وفي سنة تسع وستماية في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بناه وقعت فيه وما كان من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيئا كثير واحترق الجميع ولم يسلم من الحرب الا الجرن المذكور ودفع الله عنه سبحانه النار وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لأن النار لم تصل اليه وحمي منها . وقال كمال الدين (ابن العديم) أيضا ان ابا الحسن علي بن ابي بكر الهروي<sup>(١)</sup> أخبره وقال ان بقلعة حلب في مقام ابراهيم عليه السلام صندوقا فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهر في سنة اربع وثلاثين واربعمائة هـ .

وفي كتاب الصلصلة في الزلزلة للجلال السيوطي . في سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبعلمك ومات تحت الردم معظم اهل تدمر هـ . أقول يظهر ان هذا هو السبب في ظهور رأس يحيى عليه السلام في بعلبك .

(١) وفاته سنة ٦١١ وهو صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات .

## سبب نقل هذا الصنوبر الى الجامع الاعظم في حلب

قال في الدر المنتجب (ص ٧٦) ماملخصه : لما تسلم التتر قلعة حلب سنة ثمان وخمسين وستماية اخبوها واخربوا الجامع (الذي فيه المقام) ثم احرقوا المقامين (مقام ابراهيم ومقام الخضر على ما يقال) حريقاً لا يمكن جبره وذلك في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستماية .

ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمده سيف الدولة ابو بكر بن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الدخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الأصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليها السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد الجامع في حلب ودفناه غربي المنبر وقيل شرقيه (وهو الصواب) وعمل له مقصورة وهويزار ٥١٠ .

وفي الجزء الأول من تاريخنا (اعلام النبلاء ص ٢٩٥) نقلاً عن هامش تجارب الأمم نقلاً عن صاحب تاريخ الاسلام (الذهبي) في حوادث سنة ٣٥٧ في هذه السنة في ذي القعدة اقبل عظيم الروم تقفور بيموش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية (الى ان قال) ثم سار الى كفرطاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرقه الخ . فهذه الرواية تفيد ان رأس يحيى كان في حمص ولعل تقفور نقله الى بعلبك ثم ظهر فيها على أثر الزلزلة التي حصلت فيها سنة ٤٣٤ كما تقدم او ان هذه الرواية لا أصل لها .

قال ابن الوردي في تبعة تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٣٨ في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف في حلب . وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي في الجامع شرقي المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تأزير رخام ايض ووجد في ذلك تابوت رخام ايض فوقه رخامة يضاء

مرابطة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة<sup>(١)</sup> فهرب الحاضرون هيباً لما تم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسال الله ان يلمنا حسن الادب ا د .

### توسيع تلك الخزانة الى حجرة كبيرة وضح عظيم

وذلك في سنة ١١٢٠ وهو ما عليه الآن

جاء في تاريخنا ( اعلام النبلاء ) في حوادث سنة ١١١٩ في هذه السنة ولي حلب عبيد باشا . وجاء في حوادث سنة ١١٢٠ قال قاضي حلب عبد الرحمن ابن مصطفى الكبير الذي تولى القضاء فيها هذه السنة في آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب أغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير . وفي زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان امر الوزير الأعظم الصدر علي باشا في زمان حكومة الفقير بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ أمره في اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والالف وهدم الحائط الشرقي ( أي شرقي المنبر ) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلاله من قديم الأيام إذ ظهر هذا الجرن بين الحائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما أخذنا في حمله فاح منه رائحة طيبة أزكى من المسك فحملناه بالتسليم ووضعناه في خزانة واحضر اكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرؤن عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام . ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادي عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وهو الدستور المكرم حضرة عبيد باشا والعلماء والأعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن أكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمنة الماضية وغطيناه بالرخام والتراب والقراء يقرؤن القرآن

(١) هذا يزيد ما جاء عن الهروي ان الوجود في هذا الصندوق هو بمن الرأس .

ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة  
الجليلة التي لم تنيسر الا لآحاد من الناس اه باختصار وقال بعد ذلك وهو مما  
يجب ان لا نختصره . وصلاة على نبينا الاكمل وعلى صاحب هذا المقام الأجل  
سيدنا ابي الخصور زكريا عليه وعلى نبينا أفضل التحية .

وفي ترجمة مفتي حلب علي بن اسد الله المتوفى سنة ١١٣٠ (ج ٦ ص ٤٥٨)  
وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة الى ان مات وكان اذ ذلك  
متولياً على جامع بني أمية بحلب . وفي ايام توليته عليه امر بمرمات الجامع المذكور  
ومرمات بعض حيطانه فظهر من احد الخيطان لما قشروا عنه الكلس رائحة تفوق  
المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه  
هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في  
ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن وحمل الصندوق اليه جميع العلماء  
والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة والفا  
وفي تلك المدة كان مقياً في حلب شاعر كبير من شعراء الأتراك يعرف بالنابي  
فنظم قصيدة غراء تركية في ٥٤ بيتاً وهي مذكورة في ديوانه المطبوع  
(ص ٧٩ و ٨٠) ذكر فيها ظهور هذا الصندوق وبناء هذا الضريح ووضع هذا الصندوق  
فيه وما حصل وقتئذ ترجم لنا هذه القصيدة ثراً بعض فضلاء الأكراد العارفين  
باللغتين العربية والتركية الا بعض ابيات منها متعلقة بالمدح والدعاء للسلطان  
مما هو خارج عما نحن فيه وهي لا تخرج عما تقدم مما ذكرناه عن قاضي ومفتي  
حلب الا أنه قال ان ذلك كان في السابع عشر من شعبان من سنة ١١٢٠  
ولا ادري ايها اصح والخطب سهل .

### وصف الحضرة النبوية الحاضر

وصف الحضرة النبوية زميلنا وصديقنا الشيخ كامل الغزي رحمه الله في تاريخه  
نهر الذهب (ج ٢ ص ٢٤٤) فاكتفينا به . قال : محلها بين العضاة العاشرة والحادية  
عشرة من الصف الأول (شرقي المحراب) في حجرة مربعة تبلغ ٤ اذرع في مثلها



تقريباً يصعد إليها من أرض القبيلة بدرجة واحدة سقفها قبة لها على سطح الجامع  
كوات بشبكات من الحديد - وفي قاعدة القبة شبكة كالسقف مفتوحة من  
من النحاس بعمود مربعة تبلغ فتحة واحدتها ثلاثة أقدام في مثلها ترتفع عن  
أرض الحجارة نحو ثمانية أذرع وجدران الحجارة الثلاثة التي هي الغربي والشرقي  
والجنوبي المقابل وجه المصلي ظاهرتها من أرض الحجارة إلى الشبكة المذكورة مبنية  
بأحجار أنواع الخزف المعروف بالقاشاني وباب هذه الحجارة وهي الجهة الرابعة منها  
قنطرة مشادة عالية حجارتها سود وصفر محمولة على عمودين أعظيدين ( من الرخام  
الأصفر ) وارتفاعها من ختمها إلى أرض القبيلة ثمانية أذرع في عرض أربعة أذرع  
وهذه القنطرة العظيمة مع العمودين المحمولة عليهما لها غلق يستوعبها من أرض  
الحجارة إلى ختم القنطرة من نحاس أصفر مشبك ببعضه على شكل مربع وهو من  
رأس العمودين إلى أرض الحجارة ذو مصراعين يفتح ويغلق وسعة عيون شبكاته  
قيراطان في مثلها . ومن رأس العمودين إلى ختم القنطرة قطعة واحدة لا تفتح  
ولا تغلق وسعة عيون شبكاته قيراط واحد في مثله - وفي جانب كل من العمودين  
المذكورين لمعة ظاهرتها من الخزف القاشاني المذكور مكتوب على زناز شبكة  
الباب شعر تركي لتأبي الشاعر المشهور .

قال في نهر الذهب : أما صندوق الجرن الشريف فهو في وسط الحجارة من  
الخشب على صفة ضريح عليه كسوة من نخل مزركش بالقصب الفضي مكتوب  
فيه بعض سورة مريم . وهذه الكسوة انعم بها المرحوم السلطان عبد العزيز خان  
سنة ١٢٩١ وكان قبلها كسوة سرقت قديمة بالية وضمت سنة ١٢٣٢ على أثر  
كسوة سرقت في السنة المذكورة . وهذه الكسوة التي هي قبل الكسوة الحاضرة  
ارسلت إلى استانبول ووضعت هناك في محل الآثار القديمة . وعلى هذه الكسوة  
الجديدة فوق سنام الضريح عدة شالات ثينة عجمية وهندية . ( ثم قال ) ويوجد  
هناك عشرة قناديل فضة صغار وقنديلان كبيران من الفضة وقنديل ذهب وشعدان  
فضة وقمقم ومبخرة فضة وغير ذلك من البلور والسجاجدات والبقق والشالات .

م (٤)

مأثله المؤرخون عن مقتل يحيى ومطاب قبره وقبر أبيه زكريا عليهما السلام  
 في عرائس المجالس للشعلي بعد كلام طويل بين فيه سبب مقتله . قتل وهو  
 قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود وأخذ رأسه .  
 وفي معجم البلدان في الكلام على دمشق . والمسجد الصغير الذي خلف جيرون  
 يقال ان يحيى بن زكريا عليهما السلام قتل هناك .  
 وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى ص ٩٦ وقد ورد ان المسيح عليه السلام  
 ينزل على المنارة الشرقية ويقال ان القبة التي فيها المحراب لم تنزل معبداً لابتداء  
 عمارتها والى آخر الوقت بناها الصابئة معبداً ثم صار الى اليونانيين فكانوا يعظمون  
 فيها دينهم ثم انتقل الى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونصب رأسه  
 على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته ثم صار الى النصارى فجعلتها كنيسة  
 ثم افتتح المسلمون دمشق فاتخذوه جامعياً وعلق رأس الحسين عليه السلام عند  
 قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا الى ان جدده الوليد . ويقال  
 ان رأس يحيى عليه السلام مدفون به . وبه مصحف عثمان الذي وجه به الى الشام .  
 وقال في المعجم في الكلام على جامع دمشق ( ص ٨٠ ) وبالجامع رأس يحيى بن  
 زكريا عليه السلام وفيه في ( ج ٥ ص ٣٩ ) في الكلام على سبسطية ان سبسطية  
 بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان . وبها قبر زكريا ويحيى  
 ابن زكريا عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس .  
 وفي مسالك الأبحار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ ( ج ١ ص ١٨٨ )  
 قال احمد بن ابراهيم النسائي حدثنا ابي عن أبيه عن زبير بن واقد قال وكنتي الوليد  
 على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان  
 الليل وافى والشموع تزهى بين يديه فنزل واذا كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في  
 ثلاثة واذا فيها صندوق فاذا فيه سفظ وفي السفظ رأس يحيى بن زكريا فأمر  
 به الوليد فرد الى المكان . وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة

فجعل عليه عمود مسقط الرأس وفيه (في ص ٢٢٠) قبر يحيى وزكريا . يقال انها بسبسية . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد اخ ما تقدم وزاد بعد قوله وفي السقط رأس يحيى بن زكريا : مكتوباً عليه هذا رأس يحيى بن زكريا اخ ما تقدم ثم قال قال زيد بن واقد رأيت رأس يحيى بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعي سمعت الوليد بن مسلم وسئل أين بلغك رأس يحيى بن زكريا قال بلغني انه تم وأشار بيده نحو العمود المسقط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام ابن عمار حدثنا محمد بن شعيب قال دخلت مع شداد بن عبد الله من باب الدرج فقال لي : ترى هاهنا كتابة بالرومية قلت م . فضلى ركعتين وقال هاهنا رأس يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعي عن الوليد بن مسلم انه سأل الأوزاعي . أين بلغك رأس يحيى بن زكريا . قال في العمود الرابع المسقط هـ .

ونحو ذلك في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج ٩ ص ١٥٦) وزاد فيه وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد ، قال حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشريفة التي عند مجلس سجيطة فوضع تحت عمود الكاسة اد وفي أوائل الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ثم سرنا فمررنا في الطريق على قرية بسبسية وبعضهم يقول باسطين ياء بعدها نون وهي فلسطين المشهورة وذكر الهروي في زيارته قال سبطين هي فلسطين بها بدن يحيى بن زكريا عليهما السلام وقبر امه وقبر البع .

### بالتخص مما تقدم

ان مؤرخي حلب المتقدمين بعضهم يقول وهم الاكثر ان في جامعها رأس يحيى والهروي منهم يقول قطعة من رأسه ولم يقل لنا احد منهم ان فيه زكريا أو رأسه وابن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ يقول لنا انه رأس زكريا عليه السلام . وثلاثة متعاصرون وهم مفتي حلب علي بن اسد الله وقاضيها عبد الرحمن الكبير

والشاعر نابي التركي الذين كانوا وقت توسيع الخزانة الى الحجرة الحاضرة سنة ١١٢٠ هـ يقولون انه رأس زكريا أو عضو من اعضائه والتلقشندي المصري مؤلف صبح الأعشى وياقوت الحموي المتوفى بحلب وابن فضل الله العمري الدمشقي والحافظ ابن كثير الدمشقي يقولون ان الموجود بجامع دمشق هو رأس يحيى عليه السلام وهنا كما ترى قد تعارضت الأخبار فأياًها الصحيح ويمكن الجمع بينها ان يقال ان قطعة من رأسه بجامع دمشق وقطعة منه بجامع حلب كما أفصح بذلك الهروي وكما قال ابن الوردي ان في الصندوق بعض جمجمة .

والتعارض باق بين مؤرخي حلب الأقدمين القائلين ان الموجود بحلب هو رأس يحيى وبين المتأخرين منهم القائلين انه رأس زكريا . وعلى كل لا يخلو جامع حلب من اثر نبوي هو اما قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليها السلام . ولا يوصلنا الى الصحة ولا يوقفنا على الحقيقة الا الكشف على الصندوق وقراءة ما كتب عليه بدقة . وهل هذا متيسر او متعسر ندع الجواب عنه لغيرنا .

وصاحب المعجم في الكلام على سبسطية يقول ان بها قبر يحيى وزكريا عليهما السلام بدون تفرقة بين رأسهما وبدنهما . والنابلسي يقول لنا في رحلته ان بها بدن يحيى ولم يذكر زكريا فبقي مكان جثمانه مجهولاً ولعله لعلمه ان في دمشق رأس يحيى وهو مما لا خلاف فيه عند مؤرخي دمشق وأهاليها ذهب الى ان الموجود في سبسطية هو بدنه دفناً للتعارض والله اعلم .

محمد رافع الطباخ

(حلب)

—••••—

# ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للمحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله  
نشرها نشرأ جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس  
( القسم الاول )

فاتحة :

المخطوط الذي تقدمه اليوم لقراء العربية هو رسالة لطيفة للعالم المؤرخ ابن طولون  
الدمشقي وهذه الرسالة شأن لما تضمنت من معلومات مهمة عن قرى الغوطة  
في القرن العاشر ، فانها تسرد أسماء تلك القرى ، وفيها ما هو مجهول في ايامنا ،  
كما ان منها ما لا نجده في غيرها من الرسائل والكتب التي بحثت - عرضاً -  
عن الغوطة وقراها ، على ان المؤلف ربما خلط بين قرى الغوطة وقرى المريج كما  
لاحظ ذلك استاذنا محمد كرد علي بك في محاضراته عن الغوطة ، ولكن هذا  
لا يحط من قيمة الرسالة ولا يجعلنا نشك في علم ابن طولون وانما نعتقد انه كان  
في زمنه داخلاً في الغوطة فان للأراضي والبقاع تطورات وأعماراً كما لبني الانسان  
وللمدن ، فاذا عد ابن طولون قرية من الغوطة وهي اليوم من قرى المريج فما ينبغي  
لنا انتقاده <sup>(١)</sup> . علي انه ربما ذكر بعض القرى وقال في آخر كلامه عنها : وانها  
من حساب قرى المريج ، كما ستري ذلك . ونحن في الذيل الذي سنعقب به على  
ما قال ابن طولون سنذكر بعض قرى المريج لقربها من الغوطة قريباً يجعل بعض  
الناس يعدونها منها . والرسالة التي ننشرها كان نشرها السيد حبيب الزيات في  
الخزانة الشرقية ج ٣٩/١ ولكنه لم يعلق عليها بل حذف منها الأمانيد وما نعرف

(١) أدخل ابن طولون في رسالته عن الغوطة سبع عشرة قرية من المريج وكان الأولى أن  
لا تدمج فيها وهي: بيت نايم ، البرية ، تل الشعير ، تل الذهب ، تل الكردي ، الجرباء ، حرتنا ،  
التيطرة ، حزرما ، حران ، الجديدة ، الدور ، القصر ، تيسا ، الزعيزية ، السويداء ،  
الرمادة ، عذراء . ( المجمع العلمي العربي )

أحدًا قبل ابن طولون كتب في الفوطة رسالة خاصة كما لا نعرف أحدًا من المحدثين عني بها على الرغم من مكانتها الكبرى في القديم والحديث اللهم إلا بحث أستاذنا الجليل محمد كرد علي بك الذي كان القاه في راديو الشرق . ثم التي ثلاث محاضرات في قاعة المجمع العلمي بدمشق كان لها أحسن الأثر في نفوس الشاميين لأنهم تعرفوا بمحاضراته هذه إلى لغة طيبة عن تاريخ الفوطة تلك البقعة الخصيبة التي بنعمون بخيراتها وبتفانيات ظلالها ، ومن عني بالفوطة من المتأخرين المسيو دوسو فقد كتب عنها فصلاً مطولاً في كتابه طبوغرافية سورية التاريخية في القديم والعصور الوسطى . ومن عني بها أيضاً المسيو تريس فقد كتب عنها مقالاً مطولاً درس فيه الري وأنظمتها في الفوطة ونشره في مجلة الدراسات الإسلامية بباريس . وهناك معلومات مشورة في الكتب عن الفوطة رجعنا إليها في تصحيح مخطوطتنا التي نشرها الآن أما المراجع العربية التي رجعنا إليها فهي :

- كتاب الأعلام النباسة لابن رسته طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٨٩١
- كتاب البلدان لابن الفقيه طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٢
- ≡ تاريخ دمشق لابن عساكر نشره وخصه عبد القادر بدران طبع في دمشق
- ≡ المسالك والممالك لابن خرداذبه طبع بمطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٦
- ≡ معجم البلدان لياقوت الحموي
- ≡ مناداة الأطلال ومسامرة الخيال للشبيخ عبد القادر بدران مصور بدائرة الأوقاف الإسلامية عن مخطوطة المكتبة التيمورية
- رسالة الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي والبدير بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٨
- رسالة المعزة فيما قيل في المزة لمحمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي والبدير بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٨
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مقالة الفوطة للأستاذ محمد كرد علي

المجلد العاشر ج ٦٤٥٤٦٣

وأما المراجع الأجنبية فهي :  
 كتاب جهان نما لكاتب چلي التركي ( بالتركية )  
 ( تقويم سوزية ) ( بالتركية )

Le Strange : Palestine under the Moslems London 1890

Sauvaire: Descriptions des Damas Journal Asiat 1894 I, 250,  
 283 . II . 242 . 460 . 1895. I 269, 377. II 221, 409, 1896. I 185, 369

والخطوط الذي نشره هنا مأخوذ عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة بمكتبة  
 المجمع العلمي العربي بدمشق ورقمها ( ٢ ) وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدن  
 [ Bibliothèque de l'Université de Leyde . M s . arabe ; 1862  
 Catal . Cadicum arabicorum II p. 10 N°814 ]

وهنا نحن اولاء نشر في هذا العدد نص الرسالة وفي العدد الآتي نشر التعليقات .

### بسم الله الرحمن الرحيم

[ اظ ] سبحان العظيم العليم المحيط علمه بكل قاصٍ وداني ، الباسط حلمه على  
 كل خاطيءٍ وجاني ، فمن عظم من خلقه فهو في قبضته وعظيم قدره ذليلٌ  
 متواني ، هو الأول ماله ثاني ، وهو الآخر وكل ما سواه فاني ، العرش  
 يقول سبحان من حمل عن الجملة أركانها ، والكرسي يقول سبحان من ثبت  
 قوائمها وأحسن بنيانها ، والسحوات تقول سبحان من حذب بوحدانيته جميع  
 سكانها ، والفلك يقول سبحان مدبري في دوراني ، والسحاب يقول سبحان  
 من جعل بين السماء والأرض مكانها ، والريح يقول سبحان من أجراني ،  
 والجبال تقول سبحان من أرساني ، والأرض تقول سبحان من على تيار الماء  
 دحاني ، والأشجار تقول سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهر  
 يقول سبحان من فتق كي وغير ألواني ، والفواكه تقول سبحان من أبنع  
 بين طعمي : هذا حامض وهذا حلو ومن ماء واحد سقاني ، والطير يقول  
 سبحان من أطلق له بالجد لساني ، والبعوض تقول سبحان من يسمع حس خفقان

أجنحتي عند طيراني ، والنمل تقول سبحان من يرزقني على ضعفي وفي الليل  
المظلم يراني ، والليل يقول سبحان من سترني والظلام غشائي ، والنهار يقول  
سبحان من أظهرني وبالنور كساني ، والجنة تقول سبحان من وعد المتقين  
بنعيمي وحموري وولداي ، والنار تقول سبحان من توعد المجرمين بعذابي  
ونيران ، ومحمد ﷺ يقول سبحان من شفعتني في أمي وأرضاني صلى الله عليه  
وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً بنجيان من النيران . وبعد فهذا تعليق سميته  
« بضرب الخوطة على جميع الغوطة <sup>(١)</sup> » على حسب الامكان وبالله المستعان .  
قال ابو عبد الله بن شداد في كتابه الأغلاق الخطيرة في ذكر دمشق :  
أما صفتها فانها من أحسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدّها هواً ، وأطيبها نشراً ،  
وأكثرها مياهاً ، وأغزرها فواكه ، وأوفرها مالا ، وأكثرها جنداً ولها ناحية  
تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة وتشتمل هذه الغوطة  
على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين  
كرماً وهي من شرقي دمشق وشمالها بها ضياع <sup>(٢)</sup> كالمدين مثل المزة وداريا  
وحرستا ودمر وبلاس وبيت لاهة وعقربا وبها كلها جوامع اتعت . قلت  
أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمري بقراءتي عليه أنبأنا الشهاب أحمد بن  
علي بن حجي أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد الغزي وأبو المعالي عبد الله  
ابن عمر الأزهرري بقراءتي عليها وأنبأنا به ابو المفاخر عبد القادر بن محمد  
[٣] [و] الدمشقي قراءة عليه قال هو وشيخنا الأول أنبأنا الزين عبد الرحمن [بن خليل  
الأذرعي مماماً عليه متفرقين أنبأنا الجمال عبد الله بن محمد الأزهرري أنبأنا  
ابو عبد الله محمد بن محمد الفارقي وقال الغزي أنبأنا القطب عبد الكريم بن  
عبد النور الحلبي قال أنبأنا ابو بكر محمد بن اسماعيل بن الأنماطي أنبأنا  
ابو محمد هبة الله بن الخضر بن طاوس أنبأنا ابو الفضائل ناصر بن محمود القرشي  
انبأنا ابو الحسن علي بن احمد التميمي المالكي انبأنا ابو الحسن علي بن محمد  
الربيعي المالكي انبأنا تمام بن محمد حدثنا القاضي ابو الحسن احمد بن سليمان



ابن حذلم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة عن ابن جابر عن زيد بن ارطاة عن جبير بن نفير عن ابي الدرداء قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فسطاطُ المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من مدائن الشام . وبه الى تمام انبأنا ابو بكر احمد بن عبد الله القرشي وابو بكر محمد بن ابراهيم البزاز قال حدثنا ابو قعين اسماعيل بن محمد العذري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا مسلمة بن علي حدثنا ابو سعيد الأسدي حدثنا سليم بن عامر عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية قوله تعالى : [ وآويناها الى ربوة ذات قرارٍ ومعين ] . ثم قال هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : هي بالشام بأرضٍ يقال لها الغوطة بها مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام . وبه إليه حدثنا أبو الحارث احمد بن محمد بن عمار عن الوليد ابن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس أنه قال : وُلد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون . وبه الى الربيعي أنبأنا ابو محمد عبد الله بن احمد العيسى أنبأنا ابو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله الجبلي حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد حدثنا ابو البيان الحكم بن نافع حدثنا صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف<sup>(١)</sup> بن مالك قال : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسبرون اليكم على ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً ، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق . وبه اليه أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان حدثنا ابو الحسن ابن حبيب حدثنا ابو بكر بن الأشعث حدثنا ابو توبة حدثنا ابن المهاجر عن ابي حليس ، قال : أشرف عيسى بن مريم عليه السلام على الغوطة فقال : يا غوطة إن عجز الغني ان يجمع منك كثرًا لم يعجز المسكين ان يشبع

(١) في الحزاة [عوف]

منك خبزاً . قلت الحاصل أن الفوطة مدينتها دمشق الكبرى وقد أفرد لها تاريخاً معظماً الحافظ ابو الحسن بن عساكر ودونها القري وهالك اسماها ما وقعت عليه منها مرتباً لنا على حروف الهجاء .

أرزونا<sup>(٦)</sup> - وهي قرية تحت القابون التحتاني وهي متوسطة لها جامع ومأذنة وشربها من نهر ثورا وهي أملاك لناس مختلفين وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث .

الأقريس - وهي قرية بقرب جسرين وهي متوسطة وشربها من نهر داعية .  
[ ٢ ظ ] أرزونة\* - وهي قرية أدركت بعض [[ بيوت بها والى الآن بها بيت مجنينة وأدركت جامعها بمأذنة صورة عند قبور الشهداء ولها حكر<sup>(٤)</sup> ديوان الجيش وشربها من نهر ثورا .

البويضة - وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق بجامع ومأذنة وكان لنا بها عشر .  
البحدلية<sup>(٥)</sup> - وهي قرية جامعة تحت بلداً وبها جامع وهي وقف على بيارستان الصالحية التيمري .

بيت رانس\*<sup>(٥)</sup> - وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلي .  
بيت سمح<sup>(٦)</sup> - وهي قرية بالقرب من عقربا وبها قطع<sup>(٤)</sup> وقف على جماعة الخنابلة .

بيت الآلهة - هي حارة من دمشق شرقيها وبها جامع مبارك أدركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ليدي الخبلي والآن قد خرب وللناس فيه اعتقاد كثير وعليها بساتين وأراضي كثيرة وقع بها حديث كثير وآخر من حدث بها شيخنا المحيوي النعمي وخرج منها جماعة من أهل الحديث<sup>(٧)</sup> .  
بيت أبيات\* - حارة كانت غربي الصالحية وقد خربت الحارة ولم يبق غير مسجد والظاحون ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من أهل الحديث<sup>(٨)</sup> .

برزوة - وهي قرية شرقي الصالحية في الجبل بها مقام ابراهيم يقال إنه ولد فيه وقيل بل اختبأ فيه وقيل بل صلى فيه وقد أفردت لما ورد فيه

جزءاً<sup>(١٠)</sup> وماؤها من أحسن مياه دمشق يأتي من وادي الجرن<sup>(١١)</sup> «لعلها حرنة (المجمع العلمي العربي)» واليهما ينسب نوع من التين الشتوي هو أجود جنس منه ونوع من السفرجل هو من أجود أنواعه وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم وقد حدثتُ بها مراراً وكان بها من له سماع فيه وأمامة يجامعها وله مأذنة<sup>(١٢)</sup>.

بالا - وهي قرية تحت الشبيحة وهي قرية حسنة كثيرة المغل وفيها حصة وقف على الجوزية وقف على الخنابلة إما ربع أو نحوه<sup>(١٣)</sup>.

برتابيا\* : وهي قرية خراب فوق سقبا وقف<sup>(١٤)</sup> (هي أرض ضمت الى عرييل . المجمع العلمي العربي) .

بيت نايم\* - وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف وهي من جملة حساب المرج وهي أول قراه<sup>(١٥)</sup>.

بيت سوا - وهي قرية متوسطة وقع بها تحديث ببعض الأجزاء<sup>(١٥)</sup>.

البرية\* - وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصص غالبها وقف ومنها حصة موقوفة على جامع الخنابلة .

تل الشعير\* - وهي قرية تحت البجدلية خربة وقف على المدرسة القيرية<sup>(١٦)</sup>.

تل الذهب\* - وهي كانت قرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم وأهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث يسير<sup>(١٧)</sup>.

تل كردي - وهي قرية من قرى المرج لم اعرف حالها<sup>(١٨)</sup>.

جرمانا - وهي قرية قبلي دمشق وأهلها تيامنة وهذا عجيب من كونهم في هذه [القرية من] الغوطة فان أهلها جميعهم من أهل السنة<sup>(١٩)</sup>.

جوبير - وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود وبها ثم جماعة من المسلمين وبها مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقع بها حديث كثير ومنها جماعة من أهل الحديث<sup>(٢٠)</sup>.

[٣ و] - جسرين - وهي قرية تحت سقبا [و كانت بلدة كبيرة إلا أنها تلاشى أمرها وهي وقف وشربها من نهر داعية وقع بها حديث في فوائد الرازي<sup>(٢١)</sup>.

- جرّبا - وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع ثالث مقدي الألو ف بدمشق وقع بها تحديث الأجزاء<sup>(٢٢)</sup> .
- حزّة - وهي بلدة صغيرة تحت زملكا لها مسجد وشربها من عين الرشيدية<sup>(٢٣)</sup> .
- حمورية - وهي قرية شمالي سقيا متوسطة حسنة بها جامع يقال إنه عمري وهي وقف على أولاد السلطان الملك الظاهر وفيها املاك مستخرجة في الخراج<sup>(٢٤)</sup> .
- حردان \* - وهي قرية تحت سقيا أيضا خربت كان لها حديث لجماعة من اهل الحديث أفرد لها الخافظ ابو الحسن بن عساكر جزء ثم أفرد لها شيخنا المحدث أبو المحاسن بن عبد الهادي جزء آخر<sup>(٢٥)</sup> .
- حرسا الزيتون<sup>(٢٦)</sup> - وهي قرية كبيرة جامعة وهي في اقطاع النيابة كانت والآن صارت وقف التكية<sup>(٢٧)</sup> قال شيخنا ابو المحاسن وهي قرية شريرة وفسق معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس إنها اول ما يخسف بها في الدنيا وكانت قديما قرية حديث وشربها من نهر يزيد وتورا واليهما ينسب التفاح النبطي وقع بها حديث كثير خرّجت لها جزئين وخرج منها جماعة من أهل العلم انتهى . قلت منهم الإمام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما .
- حرسا القنطرة<sup>(٢٦)</sup> - وهي قرية قبيلة صغيرة ولعلها من حساب المرج .
- حزّما<sup>(٢٨)</sup> : وهي قرية من قرى المرج وثلاثها وقف على دار الحديث الأشرفية<sup>(٢٩)</sup> بدمشق وقع بها حديث كثير قال المحدث ابو المحاسن<sup>(٣٠)</sup> وقد أفردنا لها جزء .
- حزّات - وتضاف الى العوامد فيقال لها حران العواميد وهي قرية متوسطة من قرى المرج<sup>(٣١)</sup> .
- الجديدة \* - بالحاء المهمل والناس يقولون بالمعجمة تحت وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع النيابة<sup>(٣٢)</sup> .
- الحديثة<sup>(٣٢)</sup> - وهي قرية صغيرة تحت دمشق وغالبها يتكلم<sup>(٣٣)</sup> عليها

المولى الخواجبا زين الدين عبد الغني بن المُرْتَلِقِ <sup>(٣٤)</sup> وقع بها حديث  
وحدث فيها بعدة أجزاء .

الخياراة - وهي صغيرة من قرى المرج <sup>(٣٥)</sup> .

داريا <sup>(٣٦)</sup> - بلدة كبيرة جيدة عذبة <sup>(١)</sup> بها جامع وهي من جملة  
بلاد السلطنة <sup>(٣٧)</sup> وبها اراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصفوية  
الفقراء وبها قبر ابي سليمان الداراني واليهما بنسب البطيخ الجيد وقع بها  
حديث كثير وخرج منها جماعة كثيرون من أهل العلم قال شيخنا ابو المحاسن  
وقد أفردنا لها مصنفاً ولم أقف عليه فأفردت لها جزءاً نخصته من تاريخنا وزدت عليه .  
دقايبة \* - وهي قرية صغيرة تحت أرزونا ولها جامع وعليها كروم

وشربها من نهر تورا <sup>(٣٨)</sup> .

دومة <sup>(٣٩)</sup> - وهي قرية كبيرة جامعة شرقي حرستا وهي من أمهات

القرى من اقطاع أمير كبير <sup>(٤٠)</sup> وشربها من نهر تورا وقع بها حديث

[ ٣ ظ ] [ وخرج ] [ منها جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدومي المشهور .

الدوير \* - يقال لها دير ابن عصرون وهي قرية صغيرة في لحف الجبل

ونصفها أو نحوه وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية <sup>(٤١)</sup> .

الرّبوّة <sup>(٤٢)</sup> - غربي <sup>(٤٣)</sup> في فم الوادي فيها بيوت ودكاكين وحمام

ويقال انها التي أوى اليها عيسى وأمه وهي الآن مكان فرجة ويجتمع فيها

على غير التقوى وقد خربت في أيامنا عدة مرار وعمرت وقع بها حديث

ومما في عدة اجزاء وأفرد لها الحافظ الشمس بن ناصر الدين جزءاً

وتبعته في آخر ابسط منه <sup>(٤٤)</sup> .

زملكا - بلدة كبيرة جامعة بها جامع وحمام وخلق كثير وهي من

أمهات القوطة وشربها من نهر تورا وبها موضع يقال إنه مزارع وقع بها

حديث كثير وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء وخطيبها كان بعض ولد

ولد شيخ الاسلام ابي عمر وله مباح كثير واستمر أولاده بها الآن <sup>(٤٥)</sup> .

(١) عذبة من هذا البلد طالب هواة وينطقون بها لهمدنا بالبال عذبة (المجمع العلمي الربيعي)

زبدین - وهي قرية في آخر الفوطة من أقطاع النيابة ويزرع فيها  
الطيبخ كثيراً ووقع فيها تحديث ببعض الأجزاء (٤٦)

الزُعَيْرِ عِيَة \* - وهي قرية من قرى المرج وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٤٧).

السَوَيْدَاء \* - وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة (٤٨).

سقبأ - وهي بلدة كبيزة جامعة وبها جامع وعدة مساجد وحمام وهي  
أملاك لأربابها وغيرهم ومنها يستحسن بزرا الخيار وشربها من نهر داعية  
وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهلها قال شيخنا أبو المحاسن  
ولأهلها سماع وقد أفردت لها جزء (٤٩).

الشجرة \* - وهي كانت قرية خربة وهي من جملة صدقات الخنابلة (٥٠).

الصالحية \* (٥١) - قال شيخنا أبو المحاسن وهي أول قرى الفوطة وأم البلاد

وعروس الشام يصلح ان تكون مدينة بسفح قاسيون أول من وضعها المقادسة  
فإنهم لما هاجروا من الأرض المقدسة الى دمشق نزلوا مسجد ابي صالح  
شرقي دمشق فاستوخموا تلك المحلة ومات منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة  
فصعدوا الى هذا الجبل وبنوا به الدير المعروف بهم وبهم سميت الصالحية  
لأنهم كانوا من الصالحين الكبار وكان منهم الشيخ احمد والد الشيخ  
ابي عمر ، والشيخ ابو عمر ، والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغني ، والحافظ  
الضياء ، والحافظ العماد ، والامام عبد الهادي ، وأشياء هؤلاء وكلهم أقارب  
ثم اتسع البناء وبنى لهم الشيخ ابو عمر سبع مبات : المدرسة ، والمسجد غريبها ،  
والمبضاة ، والمصنع ، والمقربلة ، والمفضل ، والمسقاة ، انتهى . وقد أفردت لها تاريخاً .

[٤ و] صنعاء - قال شيخنا المحيوي النعمي في مسودة [تاريخه وهي قرية

خربت وبقي مزارعها على نهر الخللخال بالقرب من المتبيع خرج منها جماعة  
من المحدثين نحو عشرة انتهى (٥٢).

الضمادة - ويقال لها الرمادة وهي قرية بقرب عذراء خربت وهي وقف

من جملة صدقات الخنابلة (٥٣)

عين ثرُما - وهي قرية جامعة شرقي دمشق وبها جامع وحمام ووقع  
بها حديث وكان لبعض أهلها سماع ببعض الأجزاء وغالب الوادي التختاني  
مع أهلها وشربها من نهر ثورا وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية  
وبعضه من يردى (٥٤) .

عزيبيل - ويقال لها عربين وهي قرية جامعة وشربها من نهر ثورا  
واليها ينسب العنب البلدي واللوز وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة  
من أهل الحديث ولم فيه سماع (٥٥) .

عذرا - وهي قرية شرقي دوما وهي في أقطاع النيابة كانت والآن  
صارت وقفاً على التكية وهي بلدة كبيرة بها كان قتل حجر وأصحابه وشربها  
من نهر ثورا واليها ينسب البطيخ وقع بها تحديث يسير (٥٦) .

عقربا - وهي قرية شرقي بلدة كبيرة وهي من جملة اقطاع النيابة  
واليها ينسب القماش العقرباني وقع بها حديث وخرج منها محدثون (٥٧) .

قبر الست - وهي قرية قبلي دمشق يقال أن زينب بنت علي مدفونة  
فيها وهي بلدة جامعة وللناس أيام يخرجون إليها يحتجون بالزيارة ويتنزهون  
ووقع بها حديث يسير وقد أفردت لها تعليقا (٥٨) .

قرية سيدي مُدرك - بالقرب منها وفي كونه هناك خلاف (٥٩) .  
القابون الفوقاني - وهي قرية كبيرة تحت برزة بها جامع وعدة مساجد  
وحمام وسوق وغالب أهلها تركان وبها رؤساء واعيان وشربها من نهر يزيد  
وقع بها حديث (٦٠) .

القابون التختاني - وهي بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق  
وبها (٦١) تركان وحوارنة وغيرهما وبها يعمل خميس البيض النجس الخبيث  
وقد أفردت له تعليقا وشربها من نهر يزيد واليها ينسب الخيار الجيد وقع  
بها حديث وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء .

التصير \* (٦٢) - ويقال قصر القوافل وهي قرية متوسطة على طريق المارة وهي في اقطاع رابع مقدمي الأتوف بدمشق .

التصوير - وهي بلدة غربي كفرسوسية وقد خربت وهي الى الآن خراب (٦٣)  
كفرسوسية - وهي بلدة تحت المزة بها جامع وحمام وهي بلدة جامعة  
وبها معصرة للزيت لأن بها زيتون كثير ووقع فيها حديث خرج منها  
محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي .

[٤٥] كفر بطها - ويقال لها كفر بطنا وهي قرية جامعة بها جامع وحمام  
ودكاكين ويقال إنه كان بها علماء وسادات ورؤساء وتجار وهي أملاك  
متفرقة وبها عدة مساجد وشربها من نهر داعية ووقع بها حديث كثير وخرج  
منها جماعة من الأئمة المحدثين بل الحفاظ منهم الحافظ شمس الدين الذهبي  
وولده المحدث ابو صريرة وغيرهما (٦٤) .

اللقيشا \* - ويقال اللقيسا بالسين وهي قرية من أشهر قرى المريج (٦٥) .  
المحمدية - عند جسرين وهي قرية صغيرة من قرى المريج كانت  
خرابة والآت عمرت (٦٦) .

المنيحة - وهي قرية تحت دمشق جامعة ولها جامع ولي خطابه في هذه  
الايام صاحبنا القطب بن الصفوري الشافعي قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن  
بها قبر سعد بن عبادة وليس كذلك انتهى . وقد أفردت له جزء وهذه الأيام  
يذهب الناس اليها للزيارة والتزهد على عاداتهم وبها قطع وقف على الخنابلة  
تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية وقع فيها تحديث بعدة أجزاء  
وخرج منها محدثون منهم المنيعي (٦٧) المشهور .

مسجد القدم - وهي قرية قبلي الصبيات جامعة بها جامع وهي عذبة  
من جملة بلاد السلطنة لأناس متفرقين قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن قدم  
موسى فيها وذكر بعضهم أن فيها قدم النبي ﷺ وهو كذب انتهى وبالقرب  
منها الكتيب وقد أفردت له مؤلفاً (٦٨) .

المزة - وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة وبها عدة جوامع



ومساجد وحمامات ودكاكين وهي قديمة قال السيد كمال الدين بن حمزة عندي لها تاريخ وتقصدته فلم أخفربه فأفردت لها جزءاً وكانت قد أقطعت لبعض ولد أسامة بن زيد ووقع بها تحديث وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزي وولده وغيرهما (٦٩) .

مقنية \* (٧٠) — والصواب قينية وهي قرية خربت خلف ميدان الحصا قال الأسيدي في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في ترجمة محمد بن هارون من ولد أنس بن مالك الأنصاري الدمشقي من سكان قرية القينية عربي المصلي انتهى وقال غيره: أبو علي محمد بن هارون الأنصاري الدمشقي من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة انتهى .

مقرا \* — وهي (٧١) كانت قرية فنخبت شرقي الصالحية أدركت فيها السبع قاعات والآبقي بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثوراغربي الصالحية .  
النيرب — غربي (٧٢) الصالحية كان له اسم خاص وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف الى اسم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب ووقع بها سماع حديث كثيراً أفردت له جزءاً قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة وهي قرية من محاسن قرى دمشق من [٥٥] إقليم بيت لحيان كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه [الجمعة ويقال في شرقيه قبر حنة أم مريم عليهما السلام قال ابن شداد وليست مريم بنت عمران ولها حكاية وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أن الخضر بنتاب هذا المسجد ويصلي فيه ويروى أن عيسى عليه السلام كان فيه انتهى .  
يعقوبا — وهي قرية صغيرة غربي حزة وشربها من نهر تورا وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٧٣) .

بلدا — وهي قرية قبلي المدينة بالقرب منها جامعة وهي بلدة حسنة وقع بها تحديث وخرج منها جماعة من المحدثين منهم اليلداني الأول ومنهم شيخ شيخنا ابي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطبيب (٧٤) .

م . اسعد طلس

يتبع :

م (٥)

## مخطوطات ومطبوعات

### الدرر الفاضلة بآثار الملوك العلويين بنفاس الزاهرة

طبع سنة ١٣٥٦ هـ في المطبعة الانتصادية بالرباط من بلاد المغرب الأقصى مؤلفه من كبار اعيان الشيوخ في بلاد المغرب وله باع طويل في الفقه والأدب والتاريخ وهو الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن بن زيدان تقيب الأسرة المالكة ومؤلف كتاب النهضة العلمية في الدولة العلوية وكتاب العز والصولة في نظام الدولة وغيرهما من مؤلفاته التي وردت أمثاؤها في كتابه الدرر هذا بمناسبة عزوه إليها ونقله عنها وقد عني بكتابها هذا أياً عناية وهو يشتمل على ثلاثة عشر مقالاً في ٢٢٦ صفحة ضمنها تاريخ ملوك الدولة العلوية بالمغرب وعلى مقالات في تفرير الكتاب وختمه بست فهارس للموضوعات والأعلام والصور ونوادير الكتب وغيرها والملوك المنوه بآثارهم في هذا الكتاب هم الذين قدم جدهم الحسن الداخل من الحجاز في المائة السابعة للهجرة - كما في الجزء الرابع من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى وكانت إقامتهم في سلجاسة الى أن بويغ فيها منهم الشريف بن المولى علي الشريف الثالث سنة ١٠٤١ هـ ثم بويغ ولده محمد الشريف سنة ١٠٦٩ هـ ثم بويغ سنة ١٠٧٥ هـ اخوه الرشيد الذي تبوأ عرش الملك بنفاس فابتدأ صاحب الدرر كتابه به اذ عده اول الملوك العلويين وما قبله عهد تأسيس وإنشاء ثم تتابع بعده اثنا عشر الى زمن السلطان لهذا العهد مولاي محمد بن يوسف وفي الكتاب ثمان وأربعون صورة تريك اولئك الملوك مع نماذج من خطوطهم وتواقيعهم ورسائلهم ومراسيمهم ووثائق أوقافهم كما تريك نماذج من قصورهم وآثار عمرائهم ويذكر المؤلف ما شيدوه من مدارس ومساجد ومزارات وحصون ومعامل ودور سلاح وحدائق وقصور وجداول وجسور وملاجئ ومدن وما الى ذلك من معالم الحضارة وشواهد العمران والمؤلف تارة يسجع وكثيراً ما ينثر وقد أورد من الشعر ما زاد على سبعائه بيت منها ما هو من نظمها ومعظمها غيره من معاصرين ومتقدمين .

عبد القادر المبارك<sup>(١)</sup>

(١) كانت هذه القطعة آخر ما كتب الأستاذ قبل وفاته رحمه الله وقد كلف المجمع ولد الأستاذ السيد عبد المبارك أن ينقلها من المسودات التي تركها .

## نظام جدير و حياة جديرة

الأداة الحكومية

تأليف الأستاذين : ابراهيم مذكور ومریت غالي

الطبعة الثانية ١٩٤٥

الكتاب يقع في ثلاث مئة وثمانين وثلاثين صفحة ، اخرجته دار الفصول والنشر بالقاهرة . واذا كان الموضوع « الأداة الحكومية » موضوعاً جليلاً ، فان المؤلفين الفاضلين وفقاً توفيقاً كبيراً في اختيار الأبحاث وتنسيقها ، وعرضها وتبويبها . فقد وطأ الموضوعها بمقدمة عرضاً فيها ادواء الأمة ومشاكلها . فكان مما قاله : « . . . وكيف تقبل من وزير او مستوزر ان يكون متشائماً ، وشأنه ان يخطو بنا دائماً الى الأمام ! وكيف تقبل الاستسلام الى اليأس من ييدهم مقاليد الأمة ، اللهم الا ان كانوا يحسون انهم لا يقرون على عمل ، وليتهم يصرحون بهذا فينسحوا المجال لمن هم أرغب في العمل منيهم ، ولسنا مبالغين ان قلنا : ان روح التشاؤم هذه لم تعظم في اعيننا ولم تتجسم امامنا الا على ايدي الرجال ذوي الماضي ، ومن ساهموا في تطور هذا البلد ربع قرن او يزيد . . . »

« وقد يكون للشيوخ عذرهم في تشاؤمهم ، ولكن الأمر لم يقف عندهم بل جاوزهم الى الشبان الذين هم معقد الأمل ومحط الرجاء ، فهم بدورهم متشائمون وغالون في تشاؤمهم أحياناً . فيعلنون ان المثل العليا التي ملئت بها رؤوسهم في الدروس والمدرسة لا وجود لها في الخارج ، وان كل من سبقهم انما صارعوا الى حظهم ونصيبهم ولم يفكروا الا في انفسهم ، فنجدير بهم ان يضعوا المصلحة العامة جانباً ويتجهوا نحو تفهم الشخصي . . . »

« . . . ومن المغالطة ان تنكر اننا نتجظنا كثيراً اثناء العشرين سنة الأخيرة ، فأقدمنا على مشروعات خطيرة قبل درسها . وهدمنا مؤسسات صالحة لأنها تمت الى شخص او حزب معاد ، واجتأنا اليوم ما حرمناه بالأمس ، ولم تكن لنا سياسة

واضحة لافي هدم ولا في بناء ، وفي هذا التخبط ما يضعف ثقة الكثيرين ، ويدفع الى القول بأننا لم نتهياً بعد للاضطلاع بأعبائنا . ويظهر ان الخصومات السياسية والخلافات الحزبية بالفت في هذا وزادته سوءاً وقبحاً ، اذ ليس منا معصوم ، والقادة والزعماء في البلاد الأخرى يخطئون ويصيبون ، والفارق بيننا وبينهم ان أولئك يخطئون فيتدارك خطأهم ، في حين انا اذا زل أحدنا زلة اتخذها خصومه السياسيون فرصة للتشهير به والتحامل عليه . وربما دفعتنا الخصومة الى ان نرمي الناس بما ليس فيهم ، ونشوه الصالح وتبجح الحسن . »

« . . . » وما يؤسف له ان الأمور التي حاولناها لم تنجح النجاح المطلوب ، فلم تقم الدليل على ان التغيير الذي دعونا اليه ، والاستقلال الذي نادينا به ، جاء مصدر خير وبركة شاملة كما كنا نعلم للناس من قبل . »

« . . . » ولم نستفد من تجربة جربناها ، ولم نعظ باخفاق وقع فيه غيرنا ، ومضى علينا نحو عشرين سنة وامورنا موكولة اليها دون ان يكون لهذا التمرين أثر عملي يذكر ، اللهم الا انه ابان عن عيوب مستورة وكشف عن نقائص كانت خفية . وبعد ان يعدد المؤلفان من العيوب ما أشرنا الي بعضه ، يعودان فيقولان : « كل هذا نسلم به ، ونسلم بأن للمتشائمين عذرهم ، ولكننا نعتقد ان هذا التشاؤم اعدى عدو لأمة ناهضة . واذا قلنا تشاؤم فمعنى هذا انا نقضي على النهوض والاصلاح ، ونسد باب الأمل في الوطن والرجاء في المستقبل ، ونمحو روح التفاؤل والتضحية التي بدونها لا تقوم الامم ولا تنجي الدول . . . »

ويشرح الاستاذان كثيراً من أدواء الأمة ومشاكلها ، من سياسية واقتصادية وصحية . وتجهان أخيراً الى الاداة الحكومية ، يربانها الوسيطة الأولى لتحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية . فيذكران من معايبها انها اداة أبلتها الأيام ، وقد تطور الزمن ولم تتطور . ونهض المصريون فلم تجارهم هذه الأداة في نهوضهم . فهي بقية العصور الماضية : تعقد العمل ، وتسيء الى الجماهير . وسيرها بطيء ، لا يتماشى وسرعة السير في القرن العشرين . ونظرتها ضيقة محدودة ، لا تتفق وتشمب الحياة

التي نعيش فيها ، فحاجتها الى التجديد والاصلاح ، لا تقل عن حاجة اي مظهر من مظاهر حياتنا العامة .

ثم يرفع المؤلفان صوتهما في جراءة وفي حق ، فيقولان قولة خايق بأن يتدبرها كل منا : « ان سير الأعمال الحكومية قد وصل الى حد ان لم نغيره ونبدله بأنفسنا ، فأخشى ما نخشاه ان نسلم ببديله ولو على ايدي غيرنا » .

« وعبثاً نحاول ان نتحدث عن نهوض اقتصادي ، او تقدم اجتماعي ، ان لم نأخذ أنفسنا بوسائل ناجعة ، ونظم صديدة لتنفيذ ذلك ، وان لم نتخير لمشروعاتنا الصغيرة والكبيرة رجالاً يضطلعون بها على أكل وجه . وقد جاءت الحياة النيابية على حدائث عهدها ، فزادت الأداة الحكومية تعقيداً ، وملأت جوها بلبلة واضطراباً ، واصبحت الفوضى تتهدنا من كل جانب ان عن طريق السياسة ، او الادارة ، فأبى السياسيون الا ان يتدخلوا في كل شيء ، وبقبلوا كل وضع ، وينقضوا كل مبدأ ، وتهاون الاداريون في واجباتهم اعتماداً على حظوة ، وعدوا على حقوق غيرهم باسم المحسوية » .

هذه مقاطع تحيرناها من هذه المقدمة الممتعة ، للدلالة على قيمة الكتاب وطريقته ، وعلى بيانه وأسلوبه ، ثم لانطباق كثير مما قيل فيها ، بل لانطباقه كله ، علينا أيضاً .

ويخرجان من هذه المقدمة ، الى كلمة ، وجزءة عن « الاداة الحكومية » ، ثم الى الباب الأول في « الرقابة والتوجيه » وفيه بحث عن النظام الملكي النيابي والدستور ، والتربية القومية : وعن البرلمان ، والانتخاب ، والحزبية ، وتكوين البرلمان ، والانتاج البرلماني ، وعن الوزارة ومهمة الوزير ، ورئيس الحكومة ومجلس الوزراء ، وعن مجلس الدولة ، والقضاء الاداري ، واعداد التشريع ، والافتاء .

ثم الباب الثاني في « العمل والتنفيذ » وفيه الخدمات العامة ، وتوزيعها والاشراف عليها ، والانتاج الاداري ، وتفرعاته ، والموظفون ، وأنظمتهم وأحوالهم ، والقضاء وتوجيهه ، واستقلاله ، وتنظيمه .

ويطول بنا نفس الكلام ، ان نحن رحنأ نفضل هذا الذي اجملناه ، وهو تفصيل  
 - اذا كان - فانه لا يعني عن قراءة هذا السفر الجليل ومدارسته . بقي أن نساءل  
 كيف يحقق هذا الاصلاح ، وكيف تطهر الاداة الحكومية من مفسدها وأدرانها ؟  
 هذا ما لم يشر اليه المؤلفان ، الا إشارة خاطفة - فيما أذكر - جاءت في الصفحة  
 الأولى من التمهيد وهي : ويعنينا ان نسردهنا عبارة كثيراً ما سمعناها وهي :  
 « كل هذا كلام جيد ومقترحات يقرها الجميع ، ولكن متى التنفيذ ومن أين يجيء ؟ - »  
 « وفي رأينا ان وسيلة التنفيذ الأولى تكوین رأي عام قوي يقظ حول مبادئ  
 صريحة ومقترحات واضحة ، وهذا ما رجونا ان يساهم فيه هذا البحث بنصيب . »  
 اني أسمح لنفسي ان اقول ، بعد ان خبرت الجهاز الحكومي عشرات من  
 السنوات ، في مختلف من الحالات : ان المؤلفين الكرميين ، اذا كانوا وفقاً في وصف  
 المرض وشرح اعراضه كل التوفيق ، فما احسب انهما وفقاً في وصف الدواء ،  
 فتكوین « رأي عام » عمل شاق وطريق وعمر طويل ، ومن يكفل هذا الرأي  
 العام ان لا يفسد عوداً ، كما فسدنا نحن بدءاً ؟

أليس في ما وصفه المؤلفان من تهافت الأمة : شيئاً وشباناً على المنافع الخاصة ،  
 ما يقل معه الرجاء في تكوین هذا الرأي العام ، وهل بكون هذا « الرأي العام »  
 من لا يؤمن بمصلحة عامة ؟ وقدیمًا قال الفقهاء « فاقدم الشيء لا يعطيه » ان الأمر  
 لا يصلح الا على يد القوي العادل الذي وصفه السيد الأفغاني . نعم ! ان المصلحة العامة  
 لتتطلب رجلاً صلب العود ، صحيح الايمان ، سليم الفهم ، واسع الادراك ، كثير  
 المشاورة ، يتنخل الرأي ثم يستبد في تنفيذه . لا يقول : « عيبتي وكرهتي » بهذا  
 تخلص الأمم من ماسقط الضعف والتفكك . والا كانت آراء عذبة ، يستيفها  
 الخيال ، ولا تقرها الحقيقة . تنتهي نظريات ، كما بدأت تمنيات .

عارف النكري

## العمل لمصر

### بعث دولة وإحياء مجد

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في مئتين وست عشرة صفحة ، وضعه الأستاذ محمود كامل المحامي . ولا بد لنا - قبل ان نتناول هذا الكتاب بالبحث - من كلمة مجملّة نقولها في الموضوع من حيث هو : « العمل لمصر » .

لقد اصبحت الوشائج الفكرية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب - بعد ان طوى العلم ما كان يبين من مسافات وابعاد - مُحكمة متشابكة . فما من مذهب أو رأي ، ينشأ في بلد ، الاّ تراجع صدها في البلد الآخر ، مهما كان بين البلدين من اختلاف في : العنصر ، واللغة ، وفي منازع الحياة ومناحيها ، لذلك قل ان يقوم اجنبي عنا بدعوة من الدعوات - ولا سيما القومية او الوطنيّة او السياسية - الاّ كان لها عندنا مستمع بل مجيب . وبكثير عدد هؤلاء المستمعين والمجيبين او يقلون ، على قدر ما يكون لهذه الدعوة من هوى في النفوس ، واستعداد لها عند اصحاب هذه النفوس .

فاذا كان ذلك كذلك ، في حق الأبعد الأجنب ، فما عسى ان يكون الأمر في « عمل لمصر » يقوم به رجل من مصر ، لبعث دولة وإحياء مجد . وأمتنا : لغةً وعنصرًا . وحالها حالنا : مرضًا وضعفًا . ومتى كان الداء واحداً ، فلا بد ان يكون الدواء واحداً ايضاً .

وعلى هذا ، فالكتاب ليس لمصر وحدها ، ولكنه لهذه الشعوب المبعثرة المتفرقة ، التي تجمعها هذه الأمة العربية الواحدة .

استهل المؤلف كتابه ، بأن كشف عن حقيقة النهضة القومية في مصر ، فأنكر على الأحزاب المصرية التي قامت بعد سنة ١٩٢٠ ان تكون هي التي أيقظت الشعور الوطني فقال : « فاحساس المصريين بمحقوقهم ، وتمردهم على كل من يعتدي على هذه الحقوق قديم ، اقدم من أي حزب سياسي قائم في مصر

الآن ، بل ان تاريخ مصر الحديث ، ناطق بأن الزعامة التي كانت تقود المصريين الى تلك الأهداف الوطنية ، أرشد وأجرأ ، واشد ايماناً برسالتها .  
والكاتب لا يرسل كلامه هذا رسالاً ، منقطعاً عن الدليل ، بل يضرب عليه مثلاً : موقف السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٥ ، وما كان من مطالبه القومية الصريحة الواضحة . ثم هو يفي في تعداد هذه المواقف والمطالب ، ويعود سيفه موطن آخر من الكتاب ، فيذكر ثورات المصريين على الفرنسيين سنة ١٧٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٠٠ . وثوراتهم على الانكليز ، وما نشب بين الفريقين من مواقع سنة ١٨٠٧ و ١٨١٢ و ثورة عمالي سنة ١٨٧٩ ونهضة مصطفى كامل سنة ١٨٩٥ ودعوة زغلول سنة ١٩١٩ . وقد عاد فنوه بهذه الحوادث تنهويها أرضى الحق وعزرة مصر ويتناز المواقف بأنه لا يؤله زعيماً ، ولا يدعو الى عبادة تائر أو قائم ، بل يدل على ان أكثرهم خلقتهم الثورات والحادثات ، لا انهم هم الذين خلقوها .

اعتبر ذلك في ما يقوله في سعد ، وسعد زعيم مصر الأكبر ، بل قدوة الأقطار العربية عامة : « والشعب المصري هو الذي « اكتشف » سعد زغلول فانتخبه وكيلاً للجمعية التشريعية . والشعب المصري - بقوته الجارفة - هو الذي جعل سعد زغلول زعيماً وطنياً أثناء ثورة عام ١٩١٨ . فحمله على ان يسخر مواهبه لمهاجمة اوضاع ، يشهد ماضيه بأنه كان بقرها ، في وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه الى اتجاهه الجديد » .

وما قاله عن « اكتشاف » الشعب المصري لسعد زغلول ، قال مثله عن « اكتشاف » الشعب الانكليزي لـ ( تشرشل ) .

نقول : اذا كان للشعب فضل في « الاكتشاف » فان للزعماء الحقيقيين فضلاً كبيراً في انهم استحقوا ان يكونوا اهدلاً « للاكتشاف » وطلبة ( للمكتشفين ) .  
وأخذ الزعماء المصريين ، بأنهم واجهوا الرأي العام من غير برنامج محدد ، وخص بالنقد منهم سعداً نفسه ، لأنه لم يكن له « الا برنامج ساذج بتلخص في شيئين : الاستقلال ، وحكم الشعب بواسطة الشعب » .



ونحن نوافق المؤلف في كثير من هذا الذي يشكركم منه . وتزيد عليه فنقول : ان الشرق العربي بلاؤه بهؤلاء الزعماء ، وهم هم ضعفاً واستخذاً في كل قطر من الأقطار العربية . غير ان هذه التنايل الجوفاء ، من الذي خلقها فسواها أصناماً ، ثم عبدها ، أليس هو الشعب نفسه ؟ !

أما ما أخذ به سعد ، من ان برنامجه كان ( ساذجاً ) فلعل اكثر القائمين بالنهضات القومية يعملون مناهجين في مطلع دعواتهم ، مقتضبة موجزة ، تفادياً من التيل والقال ، والنقاش والجدال ، على عكس ما يفعله زعماء الأحزاب السياسية متى ألفوا احزابهم ودعوا اليها .

والمؤلف يريد اتحاداً يعيد مصر العظمى الى حدودها التاريخية ، فيتبسط في الموضوع ، ويتوسع في الحدود تبسطاً وتوسعاً ، ما يحتملها اعصاب الساسة اليوم ، ولا تطمئن لها قلوبهم . . . . . وحبذا لو سمي هذا الاتحاد عربياً لا مصرياً . . . . . ان المؤمنين بقضيتهم ليماناً حقاً لا يهتمهم اسمي هذا الاتحاد : مصرياً ، أم شامياً ، أم حجازياً ، أم يمنياً ، أم نجدياً ( وهي الأقطار التي أدخلها المؤلف في حدود مصر العظمى ) وانما يهتمهم الاتحاد نفسه ؛ غير ان الناس ليسوا كلهم مؤمنين . والألفاظ لها قيمتها في نفوس أمثال هؤلاء الناس ، وهي تفتح مجالاً للوسواس الخناس . . . . . وبعد ان يؤلف المؤلف هذا الاتحاد من أقطار عربية بحتة ، وبعد ان ينقل عن ابراهيم باشا انه قال : « لست تركياً ، وقد قدمت الى مصر طفلاً ، ومنذ قدومي غيرت شمس مصر دمي فجعلتني عربياً » وينقل عنه بعد ذلك قوله « . . . . . اننا الآن ننسب الى شعب انبل واكثر تنوراً . الى هذا الشعب العربي الذي سبق اوربة في الحضارة ، وزين تاريخه باقامة المدن الزاهرة والآثار الفخمة التي غطى بها وجه الأرض من جبال الأندلس الى وادي النيل بل الى حدود ايران » .

نعم بعد ان يقول المؤلف ما قاله ، وبعد ان ينقل ما نقله ، عن مصر ، وعروبة مصر ، وأهداف مصر العربية ، وعن تعرب من يقيم بمصر .

نعم بعد هذا كله ، وبعبارة أصح في ثنايا هذا كله ، يرفع صوته منكرًا ما سماه بـ «الخرافة الأثيمة» التي تقول : «ان مصر قد ظلت منذ فجر التاريخ مستعمرة للشعوب التي غزتها ٠٠٠» فيقول : ان مصر لم تكن للغازين مستعمرة بل كانت لهم مقبرة .

ويسرد في جملة ما يسرده على صحة ما يقول : «٠٠٠ وقد ظلت مصر ولاية رومانية ست مئة وسبعين عامًا . انتهت بغزو العرب لمصر في عام ٦٤٠ ميلادية . فعاد المصريون يثبتون مناعتهم التاريخية وينفون الغزاة الجدد في قوميتهم . اذ ظلت اللغة القبطية رغم الغزو العربي لغة الدواوين الى عهد خلافة الوليد بن عبد الملك . أي أنها ظلت كذلك خمسة وأربعين عامًا وتكررت ثورات المصريين في خلال حكم العرب فكان الخلفاء يحترمون ارادتهم وينفذونها» .

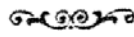
ثم راح المؤلف يعدد هذه الثورات : ثورة ثورة .

ولعل في مثل هذا التردد : بين عروبة مصر ، وأهدافها الكبرى ، وبين مقاومة مصر للعرب والعروبة ، تناقضًا بينًا لا يوفق بينه الا الرجوع الى التاريخ الحق . والتاريخ الحق : ان العرب اذا كانوا غزوا مصر ، كما غزوا غيرهم ، بل كما غزوا كل شعب الأرض التي تديرها ؛ إذ بندر -- ان لم تقل يستحيل -- ان نجد شعبًا متمدناً ولد في الوطن الذي هو فيه اليوم -- فان العرب يوم فتحوا مصرًا ، اتخذوها دار قرار لهم ، فأصبحوا اهلها كما أصبحت كل أرض للذين فتحوها فاستقروا بها . فليس بجائز ان يقاس العرب في مصر بالغزاة الطارئین ثم ينجلون . ولو أنا قلنا غير هذا خالفنا الواقع ، ولناقض المؤلف رأيه الذي أبداه ، وأهدافه التي يرمي اليها من وراء تأليفه . ان العرب في مصر ، اما ان يعدوا بعد هذه المئات الطوال من السنين أهل البلاد ، أم لا ؟ فاذا كذبنا انفسنا والتاريخ وعددنا العرب في مصر طرأء كسائر الغزاة ، فقد مقطت حجة المؤلف بأن مصر مقبرة الغزاة ، فن ملك أرضًا الف وثلاث مئة سنة وتزيد ، ولا يزال يملكها وسيملكها باذن الله وقوة أبنائها العرب الى ما شاء الله ، فلا يقال ان هذه الأرض مقبرة

له . وان كان أهل مصر العرب قد أصبحوا أصحاب البلاد حقاً فلا يجوز ان يقول فيهم المؤلف ما قاله في غيرهم .

فاذا وافقنا المؤلف في ما قلناه فانا نرجو أن يتدارك في طبعة جديدة ان شاء الله .  
والأستاذ ابنه المصري في كتابه لما بيّته لم الاستعمار . ويريد ان يعتمدوا على أنفسهم ، ويستشهد لم بقول من قال : ان اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة الخارجية في السياسة العملية ، ان هي إلا مقامرة .

ويحث المصريين على العمل في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونشر العلم ، ورفع مستوى السواد الأعظم من المصريين ، وهم صغار الملاك وصغار العمال ، ويشير الى الادارة الحكومية وإلى مواطن الخطأ والضعف فيها . ويدعو الى اصلاحها .  
والكتاب صحيح اللغة واضح العبارة ؛ إلا هفوات قد لا يسلم منها كتاب .



ع . ن

### سياسة النقد

#### برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

وضعه الأستاذ مرتب بطرس غالي

وهو يقع في مئة وسبعين صفحة ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب ، أخرجته مطبعة الرسالة بمصر . ويدل هذا الكتاب على ما دل عليه الكتابان السابقان «الأداة الحكومية» و«العمل لمصر» من ان في مصر نهضة فكرية جديدة ، أخذ يشعر القائمون بها ، الداعون اليها ، ان الشرق العربي — وفي طبعته مصر — يجب ان يعدل عن أساليبه العتيقة ، وينتهج في الحياة منهجاً جديداً ، يتفق والعصر الحاضر ، ومتطلباته المتعاقبة والمتطورة .

وصف المؤلف الفاضل بكلمات موجزات حالة مصر — وهي حالتنا نحن العرب كافة — فقال : « شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف في النظام السياسي والقومي ، ومظاهر التفكك الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على

الأخص اهتماماً عظيماً بما كنا الداخلية في جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفي حديث الناس عامة ، وترجع هذه الظاهرة الجديدة في حياتنا القومية - على ما أظن - الى انا اثر اكتساب حربتنا الوطنية انتقلنا الى عصر جديد في تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن في أيدينا ، وليس لأحد سوانا ان ينظمه أو يكونه ، وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شؤوننا الداخلية الى حد ما ٠٠٠ وكما كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشؤون الخارجية الى الشؤون الداخلية ، فوجدناها في منتهى الضعف والتقهقر .

« وحالة مصر في الحقيقة لا تدعو الى الاطمئنان : فأماننا اضطراب مستمر في الحياة القومية ، وازمة محققة في الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل في القريب العاجل الى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل بخافية على أحد »

« ٠٠٠ زد على ذلك ان عدم الاستقرار السياسي والاداري يجعل الوزارات التي تتوالى على كرسي الحكم غير قادرة على ان تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم » الى أن يقول :

« واذا كانت سماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فنجدير بنا ألا نهرب هذا ونخشاه ، ولنطمئن على كل حال الى ما في قلوب المصريين من عز وشهامة واخلاص في خدمة الوطن » .

انتهى المؤلف من هذا العرض والوصف ، الى برنامج الإصلاح : الشؤون السياسية والادارية ، وهي مباحث الباب الأول ، تناول فيها النظام النيابي ، وسوء استعمال الحكم النيابي ، وتكلم عن الادارة ، وعن الرأي العام ، وعن أعمال الحكومة والخطط العامة .

وفي الباب الثاني ، عالج المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، ويبحث عن الثروة الزراعية ، ومستوى المعيشة ، وتنقص التغذية ، وانتشار الأمراض المتوطنة .

والباب الثالث جعل موضوعه الخطط الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه هي الناحية العملية في الموضوع ، وهي أكثر ما تهتمنا منه . غير ان هذه الخطط لا تخرج عن

انها أبحاث علمية قيعة ، ولكنها لا توصل الى الحل العملي الذي أصبح الناس في أكثر هذا الشرق العربي يرجونه وينتظعون اليه .

لقد عُرف الداء ووُصف الدواء . فكان ماذا ؟

كان أن انقضت السنون على طبع هذا الكتاب ، ونشر ما فيه من الرأي الصواب الذي كان من حقه أن يحدث تطوراً اجتماعياً في الحياة السياسية المصرية ثم العربية . فلم يكن شيء من هذا ، وظللنا حيث كنا ؛ نؤلف الكتب وننشر الآراء ، وننظر الى جيل جديد لانعرف متى يجيء ، وما عسى أن يكون منه ؟ ان الأنظار العلمية ، والاحصاءات ، والمقارنات والمقاييس شيء حسن لا بد منه ، ولكنه لا ينفذ من ذات نفسه ، الا اذا تقدم المخلص الجبار فأخذ الأمة بشدقيها يباعد بينهما ، ثم يفرغ الدواء في جوفها شاءت أم أبت . ولا نذهب بعيداً في التمثيل على رأينا بأن الاصلاح لا يقوم بالكتابة والخطابة وحدهما ، بل نستعير قول المؤلف نفسه : « ونشعر ونحن نسطر هذه العبارات انها ليست جديدة بل امتلأت بها أعمدة الجرائد السياسية ولا يزال يرددها الكتاب والخطباء حتى ابعد الناس عن التمسك بها والسير على مقتضاها » .

أما الباب الرابع فنحسه المؤلف بالدفاع الوطني ، والباب الخامس بالشعور القومي ووسائل التربية ، وفي هذين البابين من المباحث القيمة ، والآراء السديدة ، ما يخلق بالجيل الحاضر أن يطلع عليه ، وبالجيل الناشئ أن يتدارسه .

فلهؤلاء المؤلفين الفاضلين الشكر على ما أتجهقوا به الشعب المصري خاصة ، والأمة العربية عامة من هذه الكتب الممتعة .

ع . ن

\*\*\*\*\*

مارنج المشايخ البازيين وأصهارهم

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل

وضع الأستاذ المعلوف هذا التاريخ في كتيب من القطع الصغير يقع كل

منها في ما يقرب من مئة وخمسين صفحة . اختصرهما من كتابه المطول ( الفرر التاريخية في الأسرة اليازجية ) وقد حرص المؤلف كل الحرص على أن يجمع في هذين الكتبيين ما اتصل به من قولة أو نكتة نسبت لأحد الذين ترجم لهم ، أو شعر أهمله قائله أو نسي أن يدونه مدونه .  
لذلك جاء في هذا الشعر ، ولا سيما ما نسب منه الى اليازجي الكبير الشيخ ناصيف ، الفث والسحين ، بل غلب فيه غثه سمينه .  
ونحن نشكر للمؤلف عنايته بوضع هذين الكتبيين تنويهاً بذكرى الأسرة اليازجية التي لها اليد البيضاء في خدمة اللغة العربية .

ع . ن

www.alukah.net

### وادي الفرات ومشروع سد الهندية

تأليف الدكتور احمد سوسة

طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٥ فجا في ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وادي الفرات » النفيس . فقد بحث المؤلف في الجزء الأول منه عن الفرات من منابعه الى بحيرة الحبانية . وبحث في هذا الجزء عن الفرات من الرمادي شمالاً الى سد الهندية جنوباً . وذكر ان الجزء الثالث سيثتمل على شؤون هذا النهر العظيم من سد الهندية الى شط العرب . أما الجزء الرابع فسيعالج مشروعات الاسقاء بمياه الفرات في المستقبل .  
ان من يقرأ الجزء الثاني من هذا الكتاب بإمعان يحكم بطول باع المؤلف في شؤون الاسقاء وهندسة المياه ، فهو قد قضى خمس عشرة سنة مهندساً للري في العراق فاستطاع ان يقتل هذه الموضوعات درساً ولذلك سد كتابه هذا فراغاً كبيراً في لغتنا الضادية .

وقد تناول المؤلف بالبحث أهم الجداول التي تشتق من الفرات بين الرمادي وسد الهندية ، كجدول الصقلاوية ( وكانت العرب تسميه نهر غيسى ) وجدول ابي غريب

(وكان اسمه نهر صرصر) وجدول اليوسفية ، وجدول اللطيفية ، ثم ذكر مشروعات المهندس الشهير ولكنكس ، وتطورات مجرى الفرات في التاريخ ، وأنهى الكتاب بدراسة سد الهندية وما ينشأ عنه من الأنهار والجداول .

وفي الكتاب رسوم وصور وخارطات كثيرة . ولغته حسنة في الجملة ، لكن فيه مصطلحات لا نوافقه عليها ، منها قوله مثلاً سدة الهندية بدلاً من سد الهندية ، فالسد اسم يدل على المسناة ، أي ذلك الحاجز الذي يقام في وجه النهر اما لتخفيف سرعة مياهه ، واما تخزين تلك المياه . وليس السد هنا مما يجوز ان يصاغ منه مصدر على وزن فعلة للدلالة على المرة . ولم ترد السدة بالتاء بمعنى المسناة . ولم استغ قوله « زمن الصيهورد » ولو قال « زمن الضحل » لكان أصلح . والضحل رقة الماء في النهر والغدير وغيرهما . وهو أيضاً اسم يدل على الماء القليل ليس بذئ عمق ج أضحال وضحال وضحول .

ومما وضعناه أو حققناه في « معجم الألفاظ الزراعية » من المصطلحات المتعلقة بالمياه : صَيَّب بمعنى Débit وِسَكْر بمعنى Vanne ومَشْبَرَة بمعنى Emissaire وهي القناة الأساسية لصرف الماء ، والسَّرَب (ج أسراب) بمعنى Collecteur وهو القناة التي تتلقى الماء من المصارف Drains وتسيبها الى المشبرة ، والقناة والترعة بمعنى Canal والسَّرِيَّة والفَلَج بمعنى Rigole ، والخليج والجداول بمعنى الكبير من الفلجان أي Rigole principale الخ . فمن الضروري أن تتوحد هذه المصطلحات وسائر المصطلحات العلمية في بلادنا العربية .

مصطفى الشهابي

✽✽✽

### الإصلاح الزراعي

طبع في مطبعة مصر وجاء في ٩٢ صفحة من القطع الصغير هذا كتاب صغير في حجمه كبير في نفعه ، أصدره السيد مربرت غالي من « جامعة النهضة القومية » في مصر ، وهم عصبة من رجال الإصلاح يتناولون في أبحاثهم نواحي شتى من مرافق الحياة المصرية ، ويعالجون طرائق إصلاحها في كتب يصدرونها على الناس منها هذا الكتاب الثمين .

والاصلاح الزراعي في مصر من أهم الموضوعات المتصلة بالمجتمع المصري .  
فأراضي مصر الزراعية قد ضاقت بسكانها ، وهي موزعة توزيعاً لا عدل فيه ،  
ذلك بأن الملكية الكبيرة تبلغ ٣٧ ٪ من مجموع الأرض الصالحة للزراعة ،  
أي ان ما ينيف على مليوني فدان مصري من تلك الأرض ( وحملتها قرابة ستة  
ملايين فدان<sup>(١)</sup> ) تتألف من أملاك كبيرة يملكها أفراد ليس عددهم بالكبير .  
أما الأملاك الصغيرة التي يملكها الفلاحون ولا يزيد واحداً على خمسة فدادين  
فمساحتها دون مليوني فدان .

وقد نشأ عن ازدياد سكان القطر ضرورة ملحة لاصلاح زراعي يتناول ملكية  
الأرض وإيجارها والعمل فيها ، وهي الموضوعات الثلاثة التي عالجها المؤلف في كتابه .  
ففي الموضوع الأول يرى تقييد الملكية الكبيرة بأن يكون الحد الأعلى  
لها مائة فدان مصري ، فلا يجوز للشخص الواحد ان يتتاع أكثر منها . وليس  
من رأي المؤلف ان تعتمد الحكومة الى شراء الأملاك الكبيرة الحاضرة جبراً ،  
وبيعها من الفلاحين على أقساط ( وهو ماتم في بعض البلاد الأوربية ) ، بل من  
رأيه ان تترك هذه الأملاك لأصحابها ، فتتلاشى مع الزمن بانتقالها الى الورثاء ،  
مادام كل شخص يملك ملكاً كبيراً يكون بحكم القانون المقترح غير قادر  
على تزييد مساحته بطريقة الفراغ أي الشراء .

ويرى المؤلف ان ثلاثة أفدنة مصرية تكفي لمعيشة فلاح وأسرته فتكون  
هذه المساحة حداً أدنى للملكية الصغيرة . ومن رأيه الغاء الأوقاف الذرية ،  
وحصر أملاك الدولة وأملاك الشركات العقارية الزراعية على إيجاد الملكية الصغيرة ،  
وإجمال القطع المجزأة على حسب الطريقة التي تتبعها مصلحة التاريف ( المساحة )  
في ديار الشام . وجميع هذه الآراء حسنة وتطبيقها غير صعب على من عندهم  
مضاء في العزيمة .

أما ما نرى فيه صعوبة فهو رأيه في اتخاذ حد أعلى لأجرة الأرض وحد  
أدنى لأجرة العامل الزراعي . والصعوبة منبعثة من كون ازدياد السكان في مصر

(١) التدان المصري أربعة: وثمات نظامية وعشرون في المشهور من الدونم أي (٢٢٠٠) متر مربع .



بفوق كثيراً ازدياد الأرض التي تجهز للفلاحة في ذلك القطر الشتيق . ولهذا لا بد في هذا الأمر ان يعمل قانون المزاومة عمله او ان يبقى قسم من الفلاحين بلا عمل . ومهما يكن الدواء الذي ورد في ذلك الكتاب الثمين مفيداً وناجماً وضرورياً فهو في نظرنا لا يحول دون حاجة الفلاح المصري في المستقبل الى مهجر يعمل فيه كالسودان المصري والعراق والجزيرة ، اللهم الا اذا تمكنت الحكومة المصرية من ايجاد ارض زراعية جديدة في القطر المصري نفسه .

وبعد انني انصح كل رجل يعني بالشؤون الزراعية ان يقرأ هذا الكتاب النفيس .

م . س

❦

### جغرافية شبه جزيرة العرب

تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع في مطبعة الترقى بدمشق

سنة ١٣٦٤ - ١٩٤٥ ص ٥٩٧ (القطع الكبير)

اعتمد الأستاذ كحالة في تأليف كتابه على مصادر شرقية وغربية منها القديم ومنها الحديث فدلّ على سعة نفس ودؤوب محمود . وقد قام بواجب نحو قراء العربية فأخرج لهم كتاباً جامعاً شتات المعلومات المتفرقة عن الجزيرة تووسع في النقل وقد بورد النصوص برمتها او بكثير من شرح اشياء في الحاشية ليست داخلية في الموضوع . وحينذا لو جرى قلم مؤلف هذه الجغرافية في كتابة مختصر لهذا الكتاب تحذف فيه الأسانيد أو اكثرها ويكتفي من النقل بما يتعلق بجغرافية الجزيرة مباشرة حتى يتناول الكتاب كل من يجب الانتفاع به في وقت قليل . وقد جوّد المؤلف في وضع فهرس لكتابه كفهرس البلدان والرجال والشعوب والقبائل والمذاهب والحكومات والكتب . فسهل بذلك على المراجعين فشكراً له على ما بذل من العناية بهذا التأليف الطريف .

محمد كرد علي

❦

م (٦)

## ديوان الغزلي (مخطوط)

هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان الغزلي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٥٢٤ هـ كان له في عصره شهرة ذائعة وصيت بعيد عرف أدباء تلك العصور مكانته واعترفوا بتفوقه وشهدوا ببراعته . وتنافلوا شعره في كثير من كتبهم واستشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره ومعانيه البديعة وحين صناعته الشعرية .

وترجمه معاصروه واهل قرنه واثنوا عليه واول هؤلاء على ما رأيت الامام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ في تاريخه الكبير ، والامام الأديب ابو البركات عبد الرحمن الأنباري في نزهة الألباء . والعماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في خريدته وتلا هؤلاء ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ فقد نقل شيئاً من شعره في معجم البلدان وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في تاريخه الكبير المعروف بالكامل . والحافظ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ في تاريخ بغداد وابن خلكان في وفيات الأعيان . وذكره من أهل القرن الثامن ابو الفدا في تاريخه المشهور والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية . ومن اهل القرن الحادي عشر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب . والأديب محمد العرضي الحلبي في مجموعته الخطية .

ثناء الأديب عليه وعلى شعره واستشهادهم به

قال الأنباري في النزهة : واما ابو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزلي فكان أحد الفضلاء ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر ومحاسن شعره كثيرة فمنها قوله :

ان بكرهوا نظم القريض فعذرهم باد كحاشية الرداء المعلم  
هم محرمون عن المناقب والعلا والشعر طيب لا يحل لمحرم  
ومنها قوله :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة<sup>(١)</sup> باب الدواعي والبواعث مفلق  
لم يبق في الدنيا كريم يرتجى<sup>(٢)</sup> منه النوال ولا مليح يعشق

(١) في ابن خلكان وفي ديوانه : قالوا هبرت الخ .

(٢) في ديوانه وأما كن متعددة هكذا : خت الديار ولا كريم يرتجى

ومن العجائب أنه لا يشتري ويحان فيه مع الكساد ويسرق  
ثم قال: وكان ابو الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم الطبري الأديب يقول غير  
مرة في المذاكرة اذا استحسن شيئاً من شعر نفسه . هذا يشبه شعر الغزي .  
وقال ابن خلكان في ترجمته : ذكره ابن النجار في تاريخ بغداد .  
وابن عساكر في تاريخ دمشق . والعماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال انه  
جانب البلاد وتغرب واكثر النقل والحركات وتغلغل في اقطار خراسان وكرمان  
ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي  
يقول فيها ولقد ابدع فيه :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصابا  
ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف :

ليل رجونا ان يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا  
ثم قال وله في القصائد والمطولات كل بديع . ومن شعره وهو مما يستملحه  
الأدباء ويستظرفونه قوله من جملة قصيدة :

اشارة منك تكفيني واحسن ما رد السلام غداة البين بالعم  
حتى اذا ضاع منها انقرط من دحش وانحل بالضم سلك العقد في الظلم  
تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

وقال ابو الفدا في حوادث سنة ٥٢٤ وفيها توفي ابراهيم بن عثمان الغزي .  
ومولده سنة ٤٤١ وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي  
مدح فيها الترك التي أولها :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا واجمل لحج تلاقينا موافيتا  
ومنها : في فتية من جيوش الترك ما تركت للرعذ كراتهم صوتاً ولا صيتا  
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وان قوتلوا كانوا عفاربتا

وقال العماد الحنبلي في الشذرات في وفيات سنة ٥٢٤ وفيها ابو اسحاق الغزي  
ابراهيم بن عثمان شاعر العصر وحامل لواء القريض وشعره كثير قاله (الذهبي)  
في العبر . وقد اكثر الصلاح الصندي من الاستشهاد بشعره في مواضع كثيرة

من شرحه للامية المعجم . وجاء في آخر معاهد التنصيص في شرح شواهد  
التلخيص للعلامة عبد الرحيم العباسي في شرح قوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل  
البيت من الطويل ونسب لأبي العلاء المعري ونسبه ابن فضل الله لأبي الطيب  
المتنبي ولم أره في ديوان واحد منها والشاهد فيه حسن الانتهاء . اهـ  
اقول البيت ليس لواحد من هذين . وهو لصاحبنا الغزي وهو موجود  
في ديوانه المخطوط الآتي ذكره . وهو آخر بيت من قصيدة يمدح بها  
مكرم بن العلاء مطلعها :

قلوب الورى اشرا كهن الشمائل وشهب العلا افلاكهن الفضائل  
على ان العباسي نفسه انشد للغزي بعد اسطر من هذا الباب قوله :  
بقيت بقاء الدهر ما ذر شارق وغار جديد المكرمات وانجدا

### ديوانه

في رحلتي الى اللاذقية من نحو ١٥ عاماً زرت تقيب اشرفها الفاضل الشيخ  
محمد محاسن الأزهرى قاضي الموصل قديماً فمن جملة ما وجدته في مكتبته القيمة  
نسخة مخطوطة من معجم البلدان لياقوت . ونسخة مخطوطة من ديوان ابي اسحاق  
الغزي وقيدت ذلك عندي . ومنذ ثلاث سنوات حضر أحد انجاله الى حلب  
فأعربت له عن رغبتى في استنساخ هذا الديوان . فذكر ذلك لوالده فكان  
المنعم المتفضل بإعارته وارساله مع ولده . وقد كتب قديماً على ظاهره بخطه  
الحسن . استنسخه الفقير محمد بن خالد بن خليل الأزهرى الحسينى اللاذقى النائب  
في مركز ولاية الموصل عفا الله تعالى عنهم في ٢٢ محرم سنة ١٣١٨ .  
وتحت ذلك بخطه مانصه :

استنسخ ولم يقابل على الأصل لما فيه من التحريف والتصحيف . فعلى هذا  
النسخة محررة في الموصل عن نسخة هناك . ويظهر انها منقولة عن النسخة التي  
هي في مكتبة امين بك بن ايوب بك الجليلي وهي مكتبة خاصة ذكرها الدكتور

الفاضل داود الجلي في كتابه مخطوطات الموصل وقال ان من جملة ديوان ابي اسحق الغزي (تام محرر سنة ١٩٩٤) ولم يذكر غيرها في مكنتات الموصل .

### استغالي بهذا الديوان

رتبت هذا الديوان على حروف الأبيدية ثم كلفت ناسخاً باستنساخه على مقتضى ترتبي له على ما فيه من تحريف وتصحيف والقصد من ذلك ان تسهل علي مقابلة ما اجده من شعره في ترجمته المذكورة في تواريخ متعددة وما اعثر عليه في كتب الأدب كشرح الصلاح الصفدي للامية العجم فقد أكثر فيه من شعره وكجمرة مخطوطة عندي مخرومة الأول والآخر للأديب الشيخ محمد العرضي الملبى فقد ذكر له سبع صحائف .

على ان الغزي وان كان قد تنوسي في القرون الأخيرة فقد تنبه له في عصرنا هذا فاضلان جليلان الأول الشاعر الكبير السيد محمود سامي باشا البارودي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ فانه ذكر صاحبنا في مختاراته التي جمع فيها ما اختاره من شعر ثلاثين شاعراً من غزل الشعراء مردم في خطبة كتابه . ذكر له في الجزء الأول في باب الأدب ١٢٥ بيتاً وفي الجزء الثالث في باب المديح ٧٨٥ بيتاً وفي الجزء الرابع ١٠٥ المجموع ١٠١٥ بيتاً .

الثاني صدقنا وزميلنا الفاضل الأديب الشيخ بهجة الأثري البغدادي فقد كتب عنه مقالة ضافية في مجلة الزهراء المصرية (ج ٤ م ٣) ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ أي منذ تسعة عشر عاماً . قال في مطلعها منذ ثلاثة أعوام تقريباً اطلعت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره وعلقت منه في ذهني أبيات رقيقة لم يكده يحوها من صحيفة ذا كرتي كر الغداة ومر العشي فكانت سبباً لاثارة البحث عن قائلها ونشر صحيفته بعد ان طوتها يد الدهر منذ أزمان . ثم بعد ترجمته التي نقلها عن ابن الأثير في كامله وعن ابن خلكان قال : اما نسخة الديوان التي بيدنا فهي سقيمة الخط كثيرة الغلط ولعل عمرها لم يبلغ قرناً واحداً . وهنا علق صدقنا الأديب الجليل السيد محب الدين الخطيب على هذه العبارة ما خلاسته : ونحن لا عجبنا بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع بحسبنا عن ديوان الغزي في القاهرة فوجدنا نسخة منه في خزانة علامتنا الجليل الأستاذ احمد تيمور باشا والنسخة كبت سنة ١٢٧٦ هـ ١٠٠٠ وصفحاتها ٢٢٣ واسطر الصحيفة ٢٥

ثم ذكر السيد الأثري خطبة النسخة البغدادية للناظم وقد جاء في آخرها :  
وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره ألف بيت . وكذلك يقول لنا ابن خلكان :  
وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته انه ألف بيت . والنسخة المصرية  
كما ترى تبلغ ٥٥٠٠ بيت . وقد جاء في خطبة النسخة التي نقلنا عنها نسختنا .  
وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره نبذة خمسة آلاف بيت اخ وهو في ١٦٥  
صحيفة كل صحيفة ٣٣ سطراً فيكون المجموع نحو ٥٥٠٠ بيت كالنسخة المصرية .  
فعلى هذا تكون كلمة خمسة قد سقطت من تاريخ ابن خلكان ومن النسخة البغدادية .  
على ان السيد الأثري قال . وقد جد بنا الحرص على احصاء آيات نسختنا  
فاذا هي تنيف على ( ١٢٥٠ ) بيتاً اه ولعل الناظم او غيره اقتضب من الديوان  
هذا المقدار وعلى هذه النسخة اطلع ابن خلكان وغيره وذكر ان ديوانه في  
الف بيت ان لم تكن كلمة خمسة قد سقطت من تاريخه . والنسخة الموصلية التي  
هي أم نسخة اللاذقية . والنسخة المصرية اتفقتا على ان ديوانه ازيد من خمسة آلاف  
بيت . ثم أورد السيد الأثري في مقاله سبع صحائف من شعره . ثم قال وفي الجملة  
فان جل هذا لديوان ان لم أقل كله درر وغرر تشهد للغزي بالبراعة في الصناعة ولو لم  
يكن فيه سوى ما أجزيناه بين بدبك من المقاطيع السحرية والآيات السائرة لكفى .  
فما في هذه المقالة من شعره وما في مجموعة الأديب العرضي الحلبي وما في  
مختارات البارودي وما في ترجمته في عدة مواضع وما في شرح لامية العجم  
وما في المعجم اياتوت كل ذلك فابله على النسخة التي استنسختها وصححتها بقدر الامكان  
وذلك يقرب من نحو نصف الديوان . ووجدت له فيما تقدم احدي وثلاثين بيتاً  
لا وجود لها في نسختنا فأثبتها في الآخر مع العزو الى الكتاب الذي وجدت فيه .  
وفي دار الكتب المصرية نسخة تحت رقم (١٢٢) في قسم الأدب بقطع الربع في  
( ١٢١ ) ورقة بخط معتدل الى الجودة أقرب وعلى حواشيه تفسيرات وتوضيحات  
تفيد أن قارئه أو مالكه كان على علم باللغة والشعر . وخط الديوان واحد من  
أوله الى آخره بخط عمر بن محمد مشعل العلوي فرغ منه سنة ١٠٩٩  
ولاعادة النظر فيما صححناه ولتصحيح الباقي فنحاج الى النسخة المصرية ليكون  
هذا الديوان صالحاً للنشر وليستفاد من غرره ودرره .

محمد رغب الطباخ

مصر

( حلب )

## آراء وأنباء انتخاب عضو عامل

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٦  
الدكتور حسني سبوح رئيس الجامعة السورية عضواً عاملاً في المجمع مكان  
المرحوم الأستاذ أديب التقي . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقم ٨١  
مؤرخ في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦

\*\*\*\*\*

### القنبلة فارسية الأصل

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها العشرين ص ٣١٠ و ٤٠٧  
مقالة للعلامة عبد القادر المغربي عنونها (قنبلة؟ قنبلة؟) قصد فيها البحث عن  
منشأ هاتين الكلمتين وانتهى في بحثه الى انها فرنسية الأصل من كانوبور  
محرقة ومقلوبة من بور و كانون Bourre de canon حسب الاضافة التركبية  
فأردت أن أبين منشأ كلمة قنبلة أو قنبرة الحقيقي ، موقناً ان الأستاذ لا بد أن  
يسر بالأبحاث التي تؤدي الى الختائق اللغوية وان جاءت مخالفة لرأيه . وخاصة  
بعد أن أظهر في مقالته انه غير متأكد مما ذهب اليه ، فقد قال في ص ٣١١ :  
« فالقنبلة اذن سبقت اسمها على جهالة أصلها وغموض نسبها متمكناً في السنننا . الخ »  
وقال في ص ٤١٥ : « ذلك ان نبتي متمسكين به [ بما ذهب اليه ] مادنا لم  
نجد قولاً أقوى ، ونقلاً أَرْضَى . حتى اذا وجدناه جنحنا اليه وعولنا عليه » .  
فأبادر الى القول ان اصل خميرة وخنبرة وقومبارة وقنبرة وقنبلة هو  
(خنبارة) الفارسية . وهذه مركبة من كلمتين : (خَم) بضم الخاء المعجمة واسكان  
الميم ، (وبارة) . فمن معاني خم الحب وهو الزير والخاوية . وكلمة حب نفسها  
محرقة من خم ، أو من كلمة (خَمْب) بضم الخاء واسكان الميم والباء وهو الزير

- ١٨٣ -

الكبير ، والذن ؛ أخذها العراقيون من الفرس بحكم المخالطة والجوار وحرقوها الى حب . ومن معاني خم أيضاً تقارة كبيرة من شبه كانوا يضربونها في الحروب . وأما بارة فمن معانيها السور وجدار التلعة . فيكون معنى خمبارة حب السور ، أو قل تقارة السور ، سموها بهذا الاسم تشبيهاً بالحب أو بالتقارة لأنها مجوفة وأضافوها الى السور لأنها ترمى من على الأسوار للدفاع عن القلاع والمدن أو تضرب بها الأسوار والقلاع لهدمها . أو لأنها عند انفلاقها يسمع منها صوت كصوت التقارة الكبيرة عند ضربها . وأرجح أنها مأخوذة من المعنى الأول أي من معنى الحب . وظهر لي ان الفرس أنفسهم خففوا كلمة خمبارة فقالوا (خمبرة) وأرادوا بها الزير الصغير وقذيفة المدفع هذه المجوفة هكذا وجدت في الترجمة التركبية للمعجم الفارسي المسمى (برهان قاطع) . ولا أرى حاجة الى بيان انتقال كلمة الخمبارة الى ان صارت قبلة فهو مفهوم من كلام الأستاذ نفسه . وأقرب الكلمات الى الأصل الخمبرة .

كانت الخمبرة تصنع من حديد وتيلاً جوفها من فوهة فيها بالبارود وبقطع حديد وكرات صغيرة من الحجارة وما أشبه ، وكانت توضع لها فتيلة وتقذف بمدفع هاون . وكانت الغاية من استعمالها السحق والهدم بجرمها ونشر مرهبات كثيرة عند انفجارها واحداث الحريق من اشتعال بارودها . ولذلك ورد في كلام الأمير حيدر الشهابي الذي نقله الأستاذ المغربي قوله : «وقد ضرب من عكا قنبرة وفقت ثلاث عشرة كلة» .

وأما الكلة فكانت كرة مصمتة ، وكانت تصنع من الحجارة ، ثم صنعت من حديد أيضاً . وكانت تقذف بمدفع ألمس الداخل والغاية منها الهدم فقط . حتى اذا ما اخترعت المدافع المحززة الداخل بطل استعمالها .  
 ترى في كلام حيدر الشهابي قوله : « وصارت القنابر والكال تنساقط على القلعة مثل المطر » وقوله : « في ليلة واحدة انجاب اثني عشر الف قطعة من كال وقنابر » وقوله : « وجد ابراهيم باشا في يافا كال ٧٠٠٠ ، قنابر ٢٠٠ » ومثله قول



- الخواجا يقولون التترك : « الككل والقناير » و « اندفقت عليهم الككل والقناير » .
- فلو كانت الككة والقنبرة شيئاً واحداً لا كنى هذان المؤرخان بأحد الاسمين .
- فكان على الباحث التفريق بينهما .

وعلى ذكر الككل اقول جاء في مقالة الأستاذ أنه يرى ان اسم ككة أتى من مشابهتها الككة التي تلعب بها الصبيان ، وان بعضهم يراها مأخوذة من ككة الخنفة من كلاء . وقال آخر انها محرفة من ككة كرة العربية . اقول ان ككة ككة ، سواء فيها الكرة الصغيرة التي يلعب بها الصبيان وقذيفة المدفع المصمتة ، هي من (جَلَّة) الفارسية بضم الجيم وتشديد اللام وفتحها واظهار الهاء ، ومعناها كرة . ومنها الجلاهق . و كأنها جمع جلة . جاء في القاموس : الجلاهق كعلابط البندق الذي يرمى به وأصله بالفارسية جلة وهي كبة غزل . ٥١٠ . وأنا لا أشك في أن كرة ، التي نطنها عربية ، هي أيضاً محرفة ومعربة من جله .

أما ككة المدفع فيقابلها بالفرنسية boulet ، وأما boule فتطلق على كل جسم كروي . والخميرة هي ال bombe . وأما القذيفة فيقابلها projectile وتطلق على كل ما يقذف ، سواء أقذف باليد أم بالمقلع أم بالقوس أم بالبندقية أم بالمدفع أم بالرشاش أم بغيرها . فيجب تخصيص اسم لكل نوع من القذائف على حدة . والطلقة أو الاطلاقة يقابلها coup ، و bourre هي الدكة .

ذكر الأستاذ انه لم يجد ككة قنبلة في المعاجم الفارسية . هذا شيء طبيعي ، لأن قنبلة ليست فارسية ولو أنها فارسية الأصل . فلو فنش عن ككة خمبارة أو خميرة لوجدنا .

وقال انه سأل أحد أفاضل الايرانيين هل ككة قنبلة فارسية ، فاجاب كلا ليست فارسية . حقاً للايراني ان يجيب بالنفي على هذا السؤال . لكن لو كان سأل : ماذا تسمون بالفارسية قذيفة المدفع المخوفة القديمة التي كانت تصنع من حديد وتمشى بالبارود وقطع الحديد وصغار الكرات ؟ لاجاب : خميرة .

الدكتور داود الجلبي

الموصل

كل ما استفدناه من كلام الدكتور الفاضل أنه أعرب عن رأيه الشخصي في ان كلمة (خميرة) فارسية وان أصلها (خمبارة): (خم) بمعنى خاية و (بارة) بمعنى سور القلعة . فالخميرة معناها خاية السور . وقد أطلقها الإيرانيون على قذيفة المدفع . واتفق لي ان اجتمعت بالدكتور حشمت معين الإيراني فسألته عن فارسية خميرة : فقال إننا معشر الإيرانيين نستعملها منذ نحو قرنين في الشعر والنثر ولا نعلم من أية لغة جاءت ولا ما هو أصلها بالتحقيق فكان يحسن بالدكتور الجليلي أن ينقل إلينا رأي علماء إيران في هذه الكلمة ولا يكفني بقوله سموها . وما نقله عن (برهان قاطع) إنما أفادنا ان (خميرة) تطلق على الزير الصغير وعلى قذيفة المدفع وقد سكت عن بيان أصلها . ولقائل ان يقول إن مسكوته يشعر بأنها فارسية مادام معجمه انما وضع لتدوين الكلمات الفارسية . ونرد هذا بأن شمس الدين سامي ذكر في معجمه كلمة (خميرة) ولم يشر الى أنها فارسية يرمن (فا) ولا عربية يرمن (ع) فدل على أنها تركية لأن معجمه انما دون فيه الكلمات التركية . وربما ذكرت المعاجم العربية أيضاً كلمة (قنبرة) التي هي أخت (خميرة) وفسرتها بقذيفة المدفع ولم تشر الى أصلها بل ان بعض كتاب العرب يدعي بأن قنبرة عربية مأخوذة من معنى جماعة الخيل . وان قنبرة عربية أيضاً مأخوذة من اسم الطائر . فاللغات الثلاث إذن تدعيها باديء بدء . واذا حققت مع أربابها طالباً الدليل على قولهم انتهى الجدل مع كل منهم الى أنهم يعدونها بين الفاظ لغتهم لكونها دخيلة مستعملة في مشورهم ومنظومهم . أما أصلها فلم يتصدأ له أحد على ما نعلم كما تصدينا نحن بتفصيل مسهب مشرحنا فيه الظروف والمناسبات التاريخية التي نشأت في خلالها كلمات (قنبرة وقنبرة وخميرة) وباليات زميلنا الدكتور أشار الى كيفية نشوء (خميرة) في لغة الفرس وتولدها على ألسنتهم وأسنه افلامهم . وفي أي عصر نبتت . وعلى أية طريقة وقع التوليد فيها . وما هي الظروف التي جعلت علماء إيران يشتقون ويتجوزون . وضباطهم وجنودهم يلفظون ويستعملون . مع ان الذين أخذنا عنهم القناير وصنع القناير لبسوا من الترك ولا الفرس ولا العرب . وقد حملوا إلينا القنبرة أو (القنبرة) وحملوا معها اسمها بلغتهم فخلقناه منهم . وأفرغه كل منا - ترك وعرب وفرس - في قوالب لغته . وجرت لهجته . وما ذكره الدكتور رأي من جملة الآراء في أصل (خميرة وقنبرة) ليس هو بالقول الفصل . وإن دل على سعة العلم والفضل .

### تعليقات على مقال ( دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها )

أخذ الدكتور الفاضل أسعد طلس بنشر مقاله المنع « دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها » الذي أشبعه بحثاً وتدقيقاً في مجلة المجمع العلمي العربي وقد اجاد وافاد وقد وقعت أثناء مطالعتي على بعض أمور تحتاج الى التعليق على هذا البحث النفيس فبحث بهذه الملاحظات خدمة للعلم والأدب وإتماماً للعمل الجليل الذي قام به فأقول:

#### ١ - خزانة الكتب التي بضاحية سلوان

جاء في المجلة (م ٢ ص ٢٣٩) ان في ضاحية سلوان خزانة غنية يربو عدد كتبها على أربعة آلاف قد يكون بينها مخطوطات قيمة وان صاحب تلك الخزانة هو الشيخ محمود اللحام .

ويظهر ان الدكتور الذي لم تمتح له زيارة الخزانة ولا الاطلاع على كتبها اعتمد رواية بعض الذين أخطأوا في تحقيق اسم صاحب الخزانة فنقلها كما تلقاها عنهم ولا لوم عليه ولا تثرير في ذلك . اما الخزانة فهي للشيخ محمد جمعة التجار واعظ السجن المركزي في بيت المقدس وقراها وهي تشتمل على المقدار المذكور الا انها تقتصر على الكتب المطبوعة وليس فيها شيء من المخطوطات كما ذكر لي صاحبها ذلك .

#### ٢ - دار كتب المسجد الأقصى وربعة سلطان المغرب

وصف الدكتور الربعة الشريفة التي كان خطها يمينه علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني ملك المغرب سنة ٧٤٥ في ثلاثين جزءاً ويظهر ان الدكتور لم يطلع على أن خمسة أجزاء من هذه الربعة المكتوبة في الرق قد فقدت فوضع مكانها خمسة أجزاء كتبت في ورق صقيل بالحروف المغربية كأصلها وكان فقدها قبل ١٤٥ سنة تقريباً كما أن جزءاً من الأجزاء الأصلية قد سُرق من المسجد الأقصى في السنين الأخيرة وأخرج من فلسطين وقد ذهبت مساعي المجلس الاسلامي الأعلى وحكومة فلسطين في سبيل استرداده عبثاً في فلسطين ومصر .

وهذه الربعة كان مدادها الذي كتبت فيه من فتيت المسك ودهن الورد وربما أضيف إليها أحياناً الزعفران الشعري وهي ثلاثة ثلاث ربعات شريفة كتبها ذلك

الملك أولها لبيت الله الحرام وثانيتها لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والثالثة للمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله .

وقد وصفت هذه الربعة قبل سرقة الجزء الآخر في مجلة النتح في المجلد الخامس (ص ٥٩٠ و ٥٩٠ ومن ص ٦٠٥ الى ص ٦٠٧) وأثبت في هاتين المقالتين على اعيان الوقف التي وقفها الملك على قراءة ربعة الشريفة في المسجد الأقصى واستطردت الى ان الربعةين اللتين كتبنا برسم مكة والمدبنة لم نعلم عن وجودهما فيهما .

### ٣ - صاحب مختار الصحاح

ذكر الدكتور في (م ٢٠ ص ٣٤٧) كتاب جامع الأصول لأحدث الرسول من مخطوطات دار الكتب الخالدية وقال عنه انه كتب على هامش الجزء التاسع منه ان محمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح المتوفى سنة ٧٢٠ (كذا) قد قرأه على الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ وكانت قراءته عليه سنة ٦٦٦ . ان صاحب كشف الظنون عندما تطرّق الى ذكر مختار الصحاح قال ان صاحبه توفي بعد سنة ٧٦٠ وأظن ان الدكتور كتبها كذلك سنة ٧٦٠ الا ان منضد الحروف أخطأ فجعلها ٧٢٠ كما تقدم وحصل ذلك الخطأ . الا ان تاريخ وفاة صاحب مختار الصحاح كانت بعد سنة ٦٦٦ التي قرأ كتابه على الصدر القونوي فيها وقد تكون امتدت حياته الى ما بعد سنة ٦٩١ حيث ألف كتاب روضة الفصاحة برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرأ أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١ اذ لا يُعقل ان يقرأ كتابه على الصدر القونوي ثم يعيش الى سنة ٧٦٠ وقد كنتُ كتبتُ مقالة مسهبة عن صاحب مختار الصحاح في مجلة المجمع «م ٨ من ص ٦٤٦ الى ٦٦٥»

### ٤ - ابن الهائم

ذكر الدكتور ان كتاب «تعاليق على الخصائص النبوية» في الخالدية أيضاً هو من تأليف ابي العباس الشهاب احمد بن محمد بن الهائم الحاسب الفرضي (م ٢٠ ص ٣٤٧) «هذا المؤلف دفن في بيت المقدس الذي كان اختار الإقامة فيه في أواخر أيام حياته

وهو يرقد في مقبرة مامن الله التي تضم المئات من عظماء المسلمين وعلمائهم بالقرب من مغارة شهداء الحروب الصليبية وعدتهم سبعون ألفاً وبهذه المناسبة أشير الى ان نسخة مخطوطة من كتاب «المناسخة في عمل الشبّاك» الذي اخترعه واستخرجه في علم الفرائض في خزانة كتيبي . ويرجع ان هذين المخطوطين ألفهما ابن الهائم في جوار المسجد الأقصى حيث كان يقيم في دار حداية الله .

### ٥ - ابن زوج ابي عذبية

قال الدكتور ان كتاب قصص الأنبياء لأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي من مخطوطات دار الكتب الخالدوة كتب على صدره أن احمد هذا شهر بابن أبي عدسة ومع ان عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل يقول عنه ابن زوجة أبي عذبية فان زميلنا الأستاذ كاظم الدجيلي قال عنه ابن أبي عدسة في مجلة الهلال (م ٢٨ ص ٦١٧) بصدد نسخة التاريخ المطول المحفوظ في مكتبة آل جميل ببغداد أقول ان زميلنا الأستاذ عيسى إسكندر المعلوم ذكره أيضاً باسم ابن ابي عدسة نقلاً عما جاء في النسخة المحفوظة في مكتبة آل الحسيني بدمشق (م ٢٨ ص ٩٢٦ من مجلة الهلال نفسها) .

وقد كنتُ علقْتُ على المقالين المذكورين في مجلة الهلال ايضاً (م ٣٠ ص ٨٦٢) مايلي: «قصص الأنبياء عليهم السلام في مجلدٍ ضخيم كتب بأوله: «جمع كتابه الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد القدسي الشافعي الشهير بابن أبي عدسة» ولكنه استوقف نظري ان المداد الذي كتب به آخر الكلمة الأخيرة كان يظهر عليه الحدوث بالنسبة الى الكلمات الأولى التي يقبل عليها القدم فاشتبهت في الأمر وقرأت ما كتب بآخر الكتاب فاذا هو كما يأتي بالحرف:

«انتهى على يد مؤلفه الفقير الى رحمة ربه التقدير احمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي الشهير بابن ابي عدسه (بدون تقط) لطف الله تعالى به آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل» .

ولشدّ ما كان دهشي عندما أنعمت النظر فوجدت ان الكلمة التي بدون إجماع قد أزيلت تقطها بآلة حادة كالومس لم يترك لها الا فتحة على الحرف الذي

قبل الهاء مما يبعث على الظن أن الكلمة عذينة أو عذينة أو ماشئت غير عدسة» .  
 وذكرت في هذا التعليق انني وقعتُ في الأتس الجليل في تاريخ القدس واخليل  
 لعبد الرحمن بن محمد بن بجير الدين الخنبلي على ما طاع عليه الدكتور طلس من النسبة الصحيحة .  
 ولعل السبب الذي حمل من صحح النسبة من الناس على ذلك العمل هو  
 ما أورده صاحب الأتس الجليل من ان المؤلف أورد في تاريخه المطول والآخر  
 المختصر اشياء فاحشة من ثلب اعراض الناس فأعدمه بعض المطلعين عليه ضناً  
 بكرامات من تناولهم المؤلف بالطعن والتشنيع . ويقول صاحب الأتس ان التاريخ  
 المطول لم يظهر بعد وفاته كما ان التاريخ المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس متفرقة .

### ٦ - محمد بن نجر الاسلام الخيري

أورد الدكتور طلس بين مخطوطات دار الكتب الخالدية (المجمع م ٣١ ص ٥٤)  
 رسالة «الشباب القابس في البيع والكنائس» لمحمد بن نجر الاسلام الخيري  
 المكتوبة سنة ١٠٨٢ وقال انه لم يهتد الى مؤلفها .

أقول ان محمداً المذكور كان امام قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى .  
 وله رسالة أخرى سماها «سؤال وجواب عن بيت المقدس» أتم تأليفها في أواخر  
 جمادى الأولى سنة ١٠٨٢ . وهذه الرسالة في عداد المجموعة السابعة والأربعين  
 من مجاميع الخالدية . وقد نسخها محمد فتح الله الديري في ١٤ شعبان سنة ١٠٩٠ .  
 اما موضوع هذه الرسالة فهو سقف المكان الواقع بقربة بيت لحم والذي بداخله  
 المغارة التي يقال ان بها مولد سيدنا عيسى عليه السلام واعادة بنائه بالخشب والرصاص  
 كما كان في السابق وترميم بعض حوائطه وانه يحرم التعرض للتصاري في ذلك .  
 ونسبة محمد الى الخيري تدل على انه ابن خير الدين الرملي الشهير المتوفى  
 سنة ١٠٨١ وهو من مفاخر الاسلام حقاً .

وبعدُ فاني أشكر للدكتور اهتمامه وجهوده في بحث خزائن الكتب الفلسطينية  
 وأخصه بالشكر على حسن ظنه بهذا العاجز مما يدل على طيب أرومة وحسن خلق  
 وجزاه الله عن العلم خير الجزاء .

عبد الله فخلص

## السعينة والفسر

رقاق النعال طيب حجاتهم يمجون بالريحان يوم السباب  
 والسباب يوم السعانيين عند النصارى والعامّة تلفظيا «الشعانيين» والسباب جمع  
 سبب بمعنى المفازة وللإهود عيد المظال يخرجون به الى البراري فينصبون فيها مظال .  
 والسعانيين جمع سعينة وهي الزفن أو مطلق المظلة وما زال المسيحيون يقرنون يوم  
 السباب بالمطر ومن أمثالهم الشائعة «السعينة دون مطر كالعروس دون جلوة» .  
 وكانت السعانيين عند النصارى صغفاً من النخيل يحتفلون بها تذكراً لدخول  
 المسيح الى بيت المقدس قبيل الفصح عندما استقبلته الجماهير بسعف النخيل ثم تطورت  
 بانتشار المسيحية فاتخذت الرياحين وأغصان مختلف الأشجار عند فقدان النخيل ولكن  
 سعف النخيل ما تزال واجبة اذا وجدت ولعل أبرز أشكالها أيام النابغة الرياحين .  
 وتفنن المسيحيون في صنع السعانيين وما يزالون يتفننون وقد يجمعون بين النخيل  
 والرياحين وأغصان الشجر وغيرها مما لا يزال متعة للناظر المتأمل .  
 ومن التقاليد المرعية عندهم ان السعانيين تصنع شفاة لحفظ حياة الأطفال  
 والأولاد ولذلك كثيراً ما ينذر المسيحيون شمعات كبيرة تبلغ طول الطفل  
 أو الولد يضمونها الى السعينة وكثيراً ما تزيد على المتر طولاً .  
 وإذا كانت السعينة في أصلها غصناً أو فنناً أو فنداً وكلها بمعنى الغصن فن  
 المعقول المقنع أن تسمى الشمعة الكبيرة التي تضم الى السعينة فنداً .  
 أما استعمال أهل طرابلس للفند بمعنى الحزمة من الشمع فهو غير خاص بهم  
 بل يستعمله عدد كبير من نصارى جبل لبنان «وهو ليس سهواً وقع فيه الأستاذ  
 المغربي بعد عهده فيه» فان من السعانيين التي ما يزال النصارى يستعملونها الى  
 اليوم ، نوعاً يزين بعدد من الشموع الصغيرة تحيط بالشمعة الكبيرة ، أو توضع  
 وحدها فكان سعف النخيل تحولت فنوداً عند عدم وجودها وليس في كل بلدان  
 النصارى نخيل فسميت السعينة غصناً أو فنداً ثم قرنت بالشمعة الكبيرة يختلف  
 طولها باختلاف الولد الذي تصنع . باسمه فسميت الشمعة فنداً وزين بعض الشعانيين  
 بحزمة من الشموع فأطلق على هذه الحزمة فند الشمع .

## فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادى والعشرين

الصفحة

٩٧	القول فى اتمكأنا	• • • •	للأستاذ محمد كرد على •
١٠٧	أبو اخذبل العلاف	• • • •	للدكتور جمبل صلبا •
١١٨	أقرب الموارد	• • • •	للأستاذ أحمد رضا •
١٢٦	المقصورة التاجية	• • • •	محمد أحمد دهمان •
١٣٣	المملك الظاهر بفرس	• • • •	عبد القادر المغربى •
١٤١	رأس بى وزكربا	• • • •	محمد راغب الطباخ •
١٤٩	ضرب الحوطة على جمبع الفوطة لابن طولون	• • • •	للدكتور أسعد طلس •

### مخطوطات ومطبوعات

١٦٢	الدرر الفاخرة بآثر الملوك العلوبن بفاس الزاهرة للمرحوم الأستاذ عبد القادر المبارك	• • • •	للأستاذ عارف النكدى •
١٦٣	نظام جدد وحباة جددة، الأداة الحكومية	• • • •	للأستاذ عارف النكدى •
١٦٧	العمل لمصر، بعث دولة وأحباء مجد	• • • •	• • • •
١٧١	سباسة القدا، برنامج سبامى واقتصادى واجتماعى	• • • •	• • • •
١٧٣	تارىخ المشايخ اليازجبين واصهارم	• • • •	• • • •
١٧٤	وادي الفرات ومشروع سد الهندبة	• • • •	للأستاذ مصطفى الشهابى •
١٧٥	الأصلاح الزراعى	• • • •	• • • •
١٧٧	جغرافية شبه جزيرة العرب	• • • •	للأستاذ محمد كرد على •
١٧٨	دبوان الفزى (مخطوط)	• • • •	محمد راغب الطباخ •

### آراء وأنباء

١٨٣	انتخاب عضو عامل	• • • •	• • • •
١٨٣	القنبلة فارسية الأصل	• • • •	للدكتور داود الجلبى •
١٨٦	تعلىق	• • • •	للأستاذ عبد القادر المغربى •
١٨٧	تعلىقات على مقال (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها)	• • • •	عبد الله مخلص •
١٩١	السعينة والفند	• • • •	• • • •